وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة العربي التبســي - تبسة

جامعة العربي التبسي - تبسة

Larbi Tebessi University - Tebessa

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية.

Faculty of Humanities and Social Sciences.

قسم: الفلسفة

Department of Philosophy

الميدان: علوم إنسانية واجتماعية.

الشعبة: علوم إجتماعية.

التخصص: فلسفة غربية حديثة ومعاصرة.

العنــوان:

العلم و الفن عند هنري برغسون

مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر "ل.م.د"

دفعـــة: 2021

إعداد الطالبة:

عوني مديحة

إشراف الأستاذ:

د. أحمد معط الله

جامعة العربي التبسي - تبسة
Universite Larbi Tebessi - Tebessa

لجنــة المناقشــة

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الصفة
د.منصر عز الدين	أستاذ محاضر ب	رئيسا
د.أحمد معط الله	أستاذ محاضر ب	مشرفا ومقررا
د.زيات فيصل	أستاذ محاضر أ	عضوا ممتحنا

السنة الجامعية: 2020/ 2021

بسم الله الرحمان الرحيم

شكر و تقدير

بسم الله الرحمن الرحيم

لا يسعني في هذا المقام إلا أن اتقدم بكل عبارات الشكر و التقدير للأستاذ الذي أشرف على هذا العمل الدكتور أحمد معط الله

الذي كانت لتوجيهاته القيمة الأثر الأكبر في أن يكون هذا العمل الأكاديمي الوجه الذي أصبح عليه و الشكر موصول إلى الأساتذة الأفاضل في لجنة المناقشة آملين أن نكون عند حسن ظنهم بنا.

كما أشكر كل أساتذتي الذين أفادوني في كل أطوار التعليم المختلفة.

إهداء

الحمد لله الذي ليس لقضاءه دافع، ولا لعطائه مانع ولا لصفاته صانع و هو الجواد الواسع الذي نصرنا و أعطانا من فضله فأنار عقولنا بعلمه و هدانا إلى نور التعليم لنكشف بأيدينا عن بعض مغاليق هذا الوجود

الحمد لله دوما و أبدا على ما حصلنا عليه من نعم و خيرات

إلى جنتي أمي....إلى من أفتخر بإسمه أبي...

إلى إخوتي و أخواتي ....

إلى الدكتور رئيس قسم الفلسفة بجامعة قسنطينة "رشيد دحدوح"...

إلى الدكتور صالح النعمان أستاذ العقيدة الإسلامية و الفلسفة بجامعة الملك خالد بأبها السعودية

إلى زملائي بالدراسة و أخص بالذكر زميلتي المرحة مروى برقي و زميلتي بالدراسة و العمل و المهنة ربيعي خضرة، و إلى زميلي الذي أدين له في مساعدتي في إنجاز هذه المذكرة مسعي سيف الدين، دون أن أنسى زميلي بن جدة صلاح....

و الى الأستاذتين الفاضلتين مشري زعرة، عريبي رحمة، و إبنتي أخي صفاء و فتيحة

عوني مديحة

مقدمة

تعتبر فلسفة هنري برغسون * الروحانية شعورا حدسانيا باطنيا معيشا ،يعبر بلا شك عن ديمومة روحانية تعبر بصدق عن حرية انسانية وتجربة ذاتية محضة يعانيها كل واحد منا ،كما تدعو فلسفته إلى معايشة القيم الروحانية في الواقع المعيش ،وتهدف إلى بلوغ حقيقة، تتجاوز الغريزة والعقل والأداتية ، ففلسفة برغسون الروحانية عبارة عن ردة فعل ضد حداثة العقل الأداتي للعلم والتقنية ،بالإضافة إلى استغفال الإنسان المعاصر البعد الروحي (السيكولوجي) للإنسان جراء تعلقه بالمادة ، هذه الأخيرة المقيدة بالرمزيات والتي تحجب البصيرة عن الحقيقة الروحانية .

ومن ثم حاول برغسون وضع يده على القيم الروحانية التي إذا ما تأمل الإنسان حوله لوجد ان حياته تتميز بالحرية والتجدد ، والخلق والديمومة ، فهي منبع قيمنا الروحية ، واعتبر هذه الأخيرة هي الزمان الحي كما هو معطى للوعي بشكل مباشر ،ومن ثم كانت الديمومة أنطولوجيا مجاوزة لاختزالية التصورية العلمية لطبيعة الطبيعة سواء كانت جامدة أو حية إنسانية ، ولا ريب أن الحدس سيمثل تسربا صريحا لتمكن الذات من محايثة المعرفة خارج أسوار العقل الأداتي.

لذلك يعتبر برغسون أن علاقة المحايثة بين الذات و الموضوع في الحقل المعرفي الحادث في الديمومة صميم منهج الحدس الذي يتعالى عن العقل متمكنا من إدراك الحقيقة التي لا يمكن للنزعة العلمية الكشف عنها ليخلص إلى الصيرورة والحركة والإبداع في الكون والحياة ويوقظ الجانب الروحي الذي استولت عليه المادة ،لذلك اعتبر برغسون الحدس الفلسفي نوع من الوجدان العاطفي الذي يكشف عن الصورة الفنية ،فهو رؤية باطنية من خلالها نكشف عن عمق الحقيقة ،وبهذا لابد من تدخل الحدس الروحي للفنان الذي يكون حاد البصيرة. ففي إعتقاد برغسون أن الطاقة الروحية مهمة للحياة الفكرية ولابد من الإبتعاد عن الميتافزيقا بشكل كبير لإعطاء العقل فسحة للحرية الفكرية في الواقع الحياتي لدى البشر ،بحيث لابد لنا من التحكم في الزمان من خلال جعله ديمومة لفكرنا الذي نوظفه في الحياة وهو ما يعطينا طاقة روحانية كبيرة نستمد منها القوة الواعية ، لذلك يتحدث برغسون عن خصائص الحياة النفسية وكيف تتحقق في الحياة النامية ، فالكائن الحي ليس مركب من عناصر سابقة،

* – هنري برغسون Henri Bergson(1859-1941) من أبوين فرنسيين ، وكان طالبا نابغا لم ترصد المدرسة جائزة لمتفوق إلا ونالها ، تخصص برغسون في بادىء الأمر في علمي الرياضة و الطبيعة ، ولكنه عكف بعد ذلك على دراسة الفلسفة بكل شوق وجد حتى عين استاذا لهذه المادة عام 1878 ، وفي سنة 1900 عين برغسون أستاذا في كوليج دي فرانس التي ظل فيها منذ ذلك الحين ، وفي عام 1908 نشر كتاب " التطور المبدع " ،ومنذ نشر هذا الكتاب ذاع اسمه واشتهرصيته ,وأصبح من اشهر رجال الفكر والفلسفة في العالم ، حصل على جائزة نوبل للسلام سنة 1929 ,ومن أشهر مؤلفاته :كتاب بعنوان محاورة مباشرة في الوقائع للوجدان1889 ،كتاب المادة والذاكرة 1896 ، التطور الخلاق 1907 ،ينبوع الأخلاق والدين 1932 الفكر المتحرك 1934 الديمومة والتزامن 1922 ،الضحك ، الطاقة الروحية .

الحياة شيء غير العناصر وشيء اكثر من العناصر فهي ديمومة تعبر عن الخلق والتطور والاستمرار.

وهدف هذه الدراسة تقديم محاولة الاحاطة بفلسفة برغسون الروحانية التي تهدف إلى الكشف عن الحقيقة خارج أسوار العقل الأداتي من خلال نظريته الفنية ومنهجه الحدسي الفلسفي بالإضافة إلى ضبط العلاقة بين الحدس والحقيقة والحدس والأخلاق ، والحدس والدين باعتبار الحدس قيمة معرفية ومن أجل التعرف على هذه العناص نطرح **الإشكالية** الآتية :

الإشكالية

هل العلم الوضعي قادر فعلا على معرفة الواقع المعاش للإنسان وحل قضاياه للإنسان مثل الحرية والتجدد والخلق؟،أم أن العلم الموضوعي غير قادر على الولوج إلى الذاتية التي هي منبع الفنون والابداع ؟وعلى هذا الاساس كيف يمكن للفن بوصفه المظهر الأسمى للذاتية أن يكمن النظرة العلمية الموضعية القاسية؟

وتتفرع **الاشكالية** إلى عدة تساؤلات فرعية أجيب عليها من خلال الفصول ومباحث هذه الدراسة :

هل يمكن اعتبار الحدس بديل للعلم الوضعي القاصر في الكشف عن الحقيقة؟

وإلى مدى يمكن للفن كتجربة ذوقية ذاتية التغلغل داخل أسوار الحقيقة ؟

ولقد استعدت طبيعة البحث الاعتماد على **المنهج** :التحليلي التاريخي ،وهو منهج لا غنى عنه في المسائل الفلسفية ففلسفة برغسون دفعتنا إلى تحليل الآراء والافكار واستنباط منها ما يفيد في البحث.

أما عن الدوافع والاسباب التي دفعتني إلى اختيار الموضوع:

منها ماهو ذاتي ومنها ما هو موضوعي، أما الدافع الذاتي: فيتمثل في ميلي إلى دراسة الفلسفة الغربية والفلسفة الفرنسية خاصة ،أما الجانب الموضوعي :يتمثل في مدى فحص حضور فلسفة برغسون الروحانية وسبل بلوغ والكشف عن الحقيقة

خطة الدراسة:

إن محاولتنا الاجابة عن هذه الاشكالية دفعتنا إلى وضع خطة تتكون من **مقدمة** وفيها تمهيد وتوضيح للطبيعة الموضوع **ومدخل مفاهيمي وثلاثة فصول** :

جاء **المدخل المفاهيمي** بعنوان :المفاهيم المؤسسة لفلسفة برغسون ، ومن خلاله حاولنا توضيح أهم المفاهيم التي تعتبر فك لشفرة فلسفة برغسون كالحدس والديمومة والدافع الحيوي والميتافزيقا

وجاء **الفصل الأول** بعنوان: نقد النزعة العلمية ، ويتضمن أربعة مباحث المبحث الاول بعنوان : الثورة على المادية وهنا فند برغسون دور العلم في بلوغ الحقيقة وكشف السبل البديلة لذلك ، والمبحث الثاني بعنوان: الثورة على الميتافيزيقا للرد على الميتافيزيقا التقليدية والدعوة إلى تأسيس وإقامة ميتافزيقيا حدسية ،والمبحث الثالث بعنوان: الدافع الحيوي والتطور ،حيث أن فلسفة برغسون تتأسس على الاندفاع الحيوي والفصل بين الغريزة والعقل والمبحث الرابع بعنوان: الحدس والحقيقة المطلقة ليوضح برغسون أن الحدس تجربة نفسية باطنية تمكننا من الولوج إلى قلب الاشياء.

وجاء **الفصل الثاني** بعنوان :ماهية الطاقة الروحية ،ويتضمن أربعة مباحث المبحث الاول بعنوان :ظروف نشأة فلسفة الديمومة عند برغسون ليؤكد على دور الديمومة التي اعتبرها تجربة شعورية باطنية ووجدانية تدرك بالحدس فقط ،والمبحث الثاني بعنوان :علاقة الزمان بالديمومة ،ليبين برغسون أن هناك أزمنة شعورية وباطنية وذوقية كما في عالم التصوف لا يمكن ادراكها الا من خلال التجارب الحدسية والروحية فحياتنا الداخلية تدفق أو ديمومة لا تتوقف متغيرة باستمرار ،والمبحث الثالث بعنوان :فلسفة الروح وعلاقتها بالقيم الاخلاقية ،ليقيم برغسون فصلا بين الأخلاق المغلقة التي قوامها الإلزام والأخلاق المفتوحة التي تأتي عن تطلع وانجذاب ،والمبحث الرابع بعنوان: فلسفة الروح وعلاقتها بالدين ،ليوضح برغسون مدى ارتباط الدين الحركي بالتجربة الروحية التي نجد مصدرها في الحدس الصوفي .

أما **الفصل الثالث** والاخير بعنوان :الحدس ومنبع الذاتية (الجمال ،الفن)ويتضمن ثلاث مباحث المبحث الأول بعنوان :الجمال كمظهر حدسي ، فخصائص الجمال تكمن في العودة إلى باطن الأشياء لكي نكشف ما في ذواتنا من جمال مخفي ، والمبحث الثاني بعنوان:الحدس والفن ليوضح برغسون طبيعة العلاقة بين الحدس والفن الذي يعتبر تجربة ذوقية وجدانية ، والمبحث الثالث بعنوان :الحل الصوفي في فلسفة برغسون ليبين أن التصوف تجربة روحية منبعها الحدس وغايتها الإتصال بالله

وحتى تتم الدراسة اعتمدت على جملة من **المصادر والمراجع** أهمها : بحث في المعطيات المباشرة للشعور ،التطور المبدع ،منبعا الأخلاق والدين.

ولعل من أهم **الصعوبات** التي واجهتني في بحثي هذا كثرة المصادر والمراجع التي تعد عقبة وعثرة تعيق البحث العلمي ،مما حتم علينا فحص أكبر عدد ممكن من المراجع لمقارنة الأ فكار وتحليلها ، وعدم توفر بعض المراجع إلكترونيا مما حتم علي السفر الى ولاية باتنة للحصول عليها ورقيا بالإضافة الى تكرار بعض المعلومات .

مدخل مفاهيمي:

1 - الحدس

1-1الحدس لغة

2-1 الحدس اصطلاحا

3-1 الحدس عند برغسون

2- الديمومة

3- الدافع الحيوي

4- الميتافيزيقا.

1-4 الميتافيزيقا لغة

2-4 الميتافيزيقا اصطلاحا

مدخل مفاهيمي: المفاهيم المؤسسة لفلسفة برغسون .

تعتبر فلسفة برغسون تيارا فلسفيا مناهضا للفلسفة العقلانية والنزعات العلمية والمادية، ويسعى لتأسيس فلسفة تهدف إلى الانسجام مع تيار الحياة المتدفق بعيدا عن تجريديات العقل و تجاوز قوانين العلم، ولاشك أن المتمعن في فلسفة برغسون يجد نفسه مجبرا على فك شفرة المفاهيم المؤسسة لفلسفته ومن أهم هذه المفاهيم مفهوم الحدس و الديمومة و الدافع الحيوي والميتافيزيقا والتي تعتبر مدخلا مهما لفهم فلسفته مما يحتم علينا ضبطها قبل الشروع في فهم فلسفته وتحليلها .

1. مفهوم الحدس:

1-1-**الحدس لغة** : بمعنى سرعة السير, وهو التوهم في معاني الكلام والأمور، والقول بالظن، نقول << أحدس في فلان >> بمعنى أقول فيه بالتوهم ، << وتحدس أخبار الناس >> بمعنى تخبر عنها وطلبها ليعلمها من حيث لا يعرفون به ، وأصل الحدس الرمي ، ومن حدس الظن وهو الرجم بالغيب وحدس الكلام على عواهنه بمعنى تعسفه ولم يتوقعه [1].

✓ نفهم من هذا أن الحدس يفيد التخمين والتكهن ، وإدراك ما هو غيبي .

كما يعني الحدس الظن والتخمين وبابه ضرب ، يقال وهو يحدس بكسر الحاء والدال الليل شديد الظلمة [2].

✓ ويعني دائما أن الحدس لا يخرج على إطار التكهن والظن في أمور بعيدة .

1-2- **الحدس اصطلاحا** : فقد عرفه الجرجاني في قوله (الحدس هو تمثيل المبادئ المرتبة في النفس دفعة من غير واختيار سواء بعد الطلب فيحصل المطلوب) [3] وعرفه إبراهيم مذكور بأنه (الإدراك المباشر لموضوع التفكير وله أثره في العمليات الذهنية المختلفة) [4]

✓ فالحدس بهذا الشكل هو طريق مباشر للمعرفة لا نعتمد فيه أي واسطة .

---

[1] - عبد المنعم الحنفي ،المعجم الشامل للمصطلحات الفلسفية ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ،مصر ، ط3 ،2000، ص 859.

[2] - محمد بن أبي بكرالرازي ، مختار الصحاح، مكتبة لبنان ، بيروت ، لبنان ، د. ط ، 1986، ص 54 .

[3] - جميل صليبا ،المعجم الفلسفي ، ج1 ، دار الكتاب ، بيروت ، لبنان ، 1982، ص 452.

[4] - إبراهيم مذكور ، المعجم الفلسفي ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ، القاهرة ، مصر ،1983، ص70 .

والحدس بشكل عام هو إطلاع النفس المباشر على ما يمثله لها الحس الظاهر، أو الحس الباطن من صور حسية أو نفسية ،أو على كشف الذهن عن بعض الحقائق بوحي مفاجئ ،لا على سبيل القياس، ولا على سبيل المشاهدة التي ينبلج فيها الحق انبلاجا [1] .

- ✓ إذن الحدس شكل من أشكال المعرفة التي لا تستخدم المنطق وعادة ما تأتي بطريقة مفاجئة فهو تصور فوري أو جلاء عقلي.

وجاء تعريف الحدس في موسوعة لا لاند الفلسفية بدلالات مختلفة :

أ: معرفة حقيقة بينة (جلاء عقلي تام)مهما تكن طبيعتها ،تستعمل مبدأ ومرتكزا للاستدلال النظري ،وتدور حول الأشياء وحول علاقاتها أيضا.

ب: نظرة مباشرة وفورية لموضوع فكري ماثل، الآن أمام الفكر ومدرك في واقعه الفردي.

ج: كل معرفة تأتي دفعة واحدة ،وبلا مفاهيم ،ويستعمل شوبنهاور الكلمة في هذا المعنى الواسع جدا ويتداولها إلى أبعد حد، فالحدس بهذا المعنى لا يعطينا الأشياء وحسب ،بل يعطينا علاقاتها أيضا ، حتى أنه يقال على خواص الأعداد، و الأشكال الهندسية بوصفها تدرك دفعة واحدة بنظرة واحدة وبلا استدلال [2] .

- ✓ إذن الحدس على غير الاستدلال الذي يعد طريق غير مباشر للمعرفة وهو يدرك الأشياء ويعرفها دفعة واحدة وبطريق واحد.

1-3- مفهوم الحدس عند برغسون : إن الحدس عند برغسون يختلف ويتميز عن كل أنواع الحدس في نقطة البدا التي بدأ منها وفي المجال الذي أراد برغسون أن يكون الحدس ادراكا له ،فبرغسون قدم لنا الحدس باعتباره الملكة الخاصة بادراك الزمان الباطني أو الزمان الشعوري أو مجرى حياتنا الباطنية فالحدس عنده هو << القوة التي نعرف بها الزمان الحقيقي أو الديمومة التي يجب أن لا نخلط بينها وبين زمان الساعات الفضائي >>[3]

- ✓ من خلال الحدس ندرك الزمن الحقيقي أي الزمن النفسي السيكولوجي وهو ما يشير إليه برغسون بالديمومة بعيدا عن الزمن الفيزيائي أو الرياضي .

---

[1] - ابراهيم مذكور ،المرجع السابق ،ص 452.

[2] - أندري لالاند ، الموسوعة الفلسفية ، تر: خليل أحمد خليل ، ج2 ، منشورات عويدات ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 2001 ، ص704.

[3] - François Meyer , pour connaitre Bergson, bordas, paris, 1985, P69.

وقد اعتبر برغسون الحدس كمنهج يلج من خلاله المعرفة إذ يعتبر أن الحدس وحده ملك متوج على عرش المعرفة الإنسانية يملك القدرة ويملك الوجود والحياة [1].

- ✓ فبرغسون في اعتقاده لا يمكن الولوج إلى المعرفة وإدراك الحقائق إلا من خلال اعتماد منهج الحدس الذي على أساسه يؤسس فلسفته .

وهو انفعال ممتلئ بالنشاط و الحيوية التي ترتبط بالتجربة الحية وليس بعالم الأنساق والأفكار إنه يمثل الحدس البرغسوني أكثر التصورات الفلسفية التصاقا بالأنا لأن كل العوائق التي تمنعها من الاتصال المباشر مع العالم الخارجي من جهة ومن الاتصال ومن التواصل مع محيطها الداخلي المفعم بالوعي والحياة من جهة أخرى ...وهو يمثل بذلك نوعا من المعرفة الخاصة بفردانية كل كائن بالإضافة إلى ما لهذه من عناصر خاصة بذاتها ولذاتها [2].

- ✓ إذن بالحدس يمكن التواصل مع العالم الخارجي تواصلا مباشرا كما أن الحدس هو أساس فهم العالم الداخلي الذي يعد معرفة مباشرة تتم من خلال الوعي بعيدا عن أي وساطة.

وإذا كان الحدس هو منهج برغسون فهو حسب جيل دولوز<<ليس عاطفة ولا إلهام أو انجذابا مشوشا بل هو منهج معد وحتى أحد مناهج الفلسفة الأكثر إعدادا له قواعده الصارمة التي تشكل ما يسميه برغسون (الزمان) في الفلسفة >> [3].

- ✓ إذن مفهوم الحدس عند برغسون يختلف عن المفهوم الشائع فالحدس في تصور برغسون هو في الحقيقة الأداة الوحيدة للنفاذ إلى قلب الحقيقة .

---

[1] - مجاهد عبد المنعم مجاهد, مدخل إلى الفلسفة ، دار الثقافة للنشر ، القاهرة ، مصر ، د. ط ، د.ت ، ص 129.

[2] - هنري برغسون ، بحث في المعطيات المباشرة للشعور ، تر: الحسين الزاوي ، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2009،ص11.

[3]- جيل دولوز ، البرغسونية ، تر : أسامة الحاج ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1997، ص5.

2. الديمومة:

الديمومة هي الزمان فإذا أطلقت على الزمان المحدد سميت مدة وإذا أطلقت على الزمان الطويل الأمد سميت دهرا لأن الدهر هو الأمد الدائم أو مدة العالم وهو باطن الزمان و به يتحدد الأزل والأبد بهذا المعنى عرفها الجرجاني و من معاني الديمومة أنها تطلق على جزء من الزمان المطلق فتكون حينئذ زمان فعل أو زمان فاصل بين فعلين ويكون الزمان المطلق محيطا بها إحاطة الكل بالجزء [1].

- ✓ تفهم من هذا أن فهم الديمومة عند برغسون تقتضي فهم الزمان وهي تعني الزمن المطلق .

يميز برغسون بين نوعين من الزمان .الزمان الفيزيائي والزمان الحي المباشر الذي يصفه بالديمومة وتعني الديمومة بالنسبة له الزمان الحي كما هو معطى للوعي بشكل مباشر بوصفه يمثل إبداعا متواصلا لصور لم تكن موجودة من قبل أما الديمومة الخالصة فهي بمثابة الذات التي تغوص في أعماقها السحيقة لتستشعر كل تجليات حياتها الخاصة [2].

- ✓ ففي اعتقاد برغسون الإنسان يعيش زمانين، زمن روحي نفسي معنوي يتميز بالتغيير والديناميكية ،وزمن فيزيائي أو رياضي يتميز بالثبات والستاتيكية ،ويعتقد أن الزمن السيكولوجي هو الزمن الحقيقي .

والديمومة عند برغسون هي عبارة عن شعور أو حياة شعورية مليئة بالتجارب الشعورية لا انقطاع فيها بين الأول والآخر أي تيار متدفق من الزمان لا يقاس كالزمان الرياضي بل هو ذا طابع كيفي باطني مليئ بالتجارب الباطنية أما الديمومة عند برغسون فهي <<تقدم مستمر لماضي يفرض المستقبل ويتضخم بتقدمه إلى الأمام>> [3]

- ✓ إذن الديمومة تيار متدفق دائم التدفق فهي تعبر عن الحالات النفسية المرتبطة بالزمان .

فالديمومة بهذا المعنى لا تمثل الزمان القابل للقسمة بل هي الشعور الذي يلازم حياة الروح في صفائها ونقائها ولهذا يتعذر على الإنسان ترجمتها بصور عقلانية ويسوق لنا برغسون في كتابه الشهير (معطيات مباشرة للشعور) مثالا يوضح فيه العلاقة المتينة التي تربط

---

[1] - جميل صليبا ، مرجع سابق ، ص571

[2] - هنري برغسون، المعطيات المباشرة للشعور ، مصدر سابق ، ص 216.

[3] - هنري برغسون، التطور المبدع ، تر: جميل صليبا ، المنظمة العالمية للترجمة ، بيروت ، لبنان ، د.ط ،1981، ص10.

الديمومة بالزمان حيث يعتقد أن الشعور بالفرح مثلا يبدو ضعيفا إذ انعزل عن حياتنا النفسية و لكنه سرعان ما يبدو أشد وأقوى إذا ما نقد وارتبط بمقومات حياتنا النفسية ومنه لا

يحق لنا أن نقول أننا بصدد مقدار من الفرح قد يتزايد فنحن بصدد تغير كيفي ليس له صلة بالمكان أي بالعدد و الكم و المقدار[1] .

- ✓ الديمومة تعبر عن الزمن الروحي الذي نحياه بعيدا عن الزمن الفيزيائي الثابت فشعوري بالفرح لا يقوى إلا إذا ارتبط بحياتي النفسية .

إن الوقائع المباشرة للوجدان تشهد بأن الحياة النفسية تيار غير منقطع من الظواهر المتنوعة أي تقدم متصل من الكيفيات المتداخلة بخلاف الظواهر المادية التي هي كثرة من الأحداث المتعاقبة و الحياة النفسية التلقائية فإنها انبعاثا من باطن وخلق مستمر "ديمومة "لا تحتمل رجوعا إلى الماضي وعودة ظروف بعينها ،ولا توقعا للمستقبل ضروريا كما تحتل الظواهر المادية [2].

- ✓ الظواهر المادية حسب برغسون هي عبارة عن حوادث متواترة أما الحياة النفسية تيار متدفق لا يعرف السكون والثبات ولا يدرك ذلك إلا من خلال الحدس .

من هنا يكون الطريق السليم إلى فهم الديمومة قائما على أساس الرؤية intuition أو الحدس أما الزمان الآلي أو المكاني فهو مرتبط بالعقل الذي يعمل على تحليله وفهمه بوساطة الرموز قصد تفسيره تفسيرا ماديا بحتا[3].

- ✓ نفهم من هذا أن الديمومة جعلت من الصيرورة جوهر فلسفة برغسون .

1- Henri Bergson. essais sur les donnes immédiates de la conscience, paris, f. alcan, 1889, p54

2- يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة الحديثة، ، دار القلم ، بيروت ، لبنان ، د.ط ، د.ت ، ص 418.

3- Henri Bergson . essais sur les donnes immédiates de la conscience , op .cit , P273.

3. الدافع الحيوي :

يقع الدافع الحيوي في مقدمة تفكير برغسون الفلسفي معتقدا أن الحياة عملية غير منفصلة لا تتوقف نوع من حركة كونية ...نحن كلنا مدفوع بهذا الدفع الحيوي والحياة هي الواقع الأساسي لا الذهن أو المادة نشعر بها من ذواتنا من خلال الخبرة المباشرة الآنية ونشعر بها في الآخرين بوساطة التعاطف أو الحدس كشعور مباشر بالحياة ذاتها يختلف بصورة واضحة عن نشاط العقل الذي هو عملية مصطنعة لتمثيل الأشياء بصورة رمزية خارج ذاته وعلى هذا الأساس يكون العقل أيضا بعيدا عن الواقع الأساسي وأليفا للجمادات التي يفصلها عن التيار المستمر للخبرة والحافز[1] .

- ✓ ومعنى هذا ان اساس الحياة ومحركها هو الدافع الحيوي الذي يعد طاقة حيوية ولعل هذا ما يتجسد في فلسفته القائمة على الفكر والمتحرك والتي اعتبرت نوعا من الانقلاب او الثورة الفلسفية.

إن الحياة في رأي برغسون لا تسير إلى المنطق وهي قد تخطأ أحيانا وقد تتجمع قواها في ممرات مسدودة أو قد تعود إلى الوراء أحيانا[2] .

- ✓ الحياة حسب برغسون لا تمض على وتيرة واحدة وهذا ما يفسر ان برغسون دائما يهتم بالجانب الروحي على حساب ما هو مادي وضيق.

ومع كل هذا فإن الاندفاعية الحيوية الكلية على مستوى الكون تستمر في مسيرتها وتبقى قائمة ومن أجل تزهر الحياة فإن الدفعة الحيوية تفرع نفسها إلى فروع متعددة .

هناك الأول الانقسام الكبير إلى عالم نباتي وعالم حيواني وتتراكم الطاقة عند النبات تراكما مباشرا ليقوم الحيوان بالنهل منها ليحولها إلى مادة يتفجر منها العمل الحر ولكن النبات مربوط بالأرض ووعيه ثقيل ولا يبدأ الوعي في التيقظ إلا في عالم الحيوان ثم تقوم الدفعة الخلاقة مرة أخرى بتفريغ نفسها في عالم الحيوان في اتجاهين مختلفين كما لو كانت تحاول بناء منهجين مختلفين في الاتجاه الأول تصل إلى الاكتمال في عالم الحشرات الاجتماعية مثل النمل والنحل ،وفي الاتجاه الثاني تسعى لتصل إلى الاكتمال من النوع الإنساني .

---

[1]- موروتون وايت، عصر التحليل ، تر: أديب يوسف شيش ، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، القاهرة ، مصر ، د. ط. د. ت ،ص69.

[2]- بوشنسيكي ، الفلسفة المعاصرة في أوروبا ، تر : عزت قرني ، عالم المعرفة ، الكويت ، د.ط ، 1992 ، ص 149.

من الجهة الأولى تسعى الحياة إلى امتلاك الحركة السريعة والمرونة عن طريق الغريزة أي ملكة استخدام الأدوات أو الأعضاء العضوية بل وخلقها خلقا ،والغريزة تعرف موضوعاتها عن الطريق التعاطف ومن الداخل وهي حين تعمل تقوم بذلك بغير خطأ عملا واثقا ولكن عملها دائما على وتيرة واحدة أي واحدي الطريقة[1] .

- ✓ الحياة حسب برغسون تتسم بالمرونة والحركة والسرعة ، فهي حية ولا تتصف بالجماد والثبات ،فهي ديمومة متجددة.

أما عند الحيوانات الفقرية فإن الأمور مختلفة حيث يبدأ الذكاء أو العقل ينمو في مقابل الغريزة والعقل هو ملكة صنع الأدوات غير العضوية والعقل يحكم طبيعة جوهره العميق يتجه ليس إلى الأشياء بل إلى العلاقات لذلك فإنه لا يعرف موضوعاته من الداخل بل يعرفها من الخارج .

ويظهر الحدس أخيرا في الإنسان وإن كان لا يظهر إلا على صورة دفعات سريعة نادرة وفي الحدس تصبح الغريزة بغير واجب عملي تؤديه وتصير قادرة على التأمل في ذاتها ومن ناحية أخرى فإن الإنسان حر وهكذا فإن حظ التطور سينتهي إلى تحرير الوعي عند الإنسان ويظهر الإنسان وكأنه الغاية النهاية من تنظيم الحياة على كوكب الأرض[2]

- ✓ الانسان حسب برغسون يسير وفق حدسه ومن خلاله يعيش في تطور ويعمل على تحرير وعيه ولا يمكن فهم الحياة بعيدا عن فهم الحدس.

4. الميتافيزيقا :

4- 1-الميتافيزيقا لغة: يدل الاصل اللغوي التاريخي لمصطلح الميتافيزيقا على معنى ملغز في مستواه العادي البسيط فهو يشير الى كلمة مركبة من مقطعين هما méta ما بعد physic ، باللاتينية أي الطبيعة ،وتشتد كثافة غموض المصطلح عندما تجمع مؤرخات الفلسفة ومصطلحاتها على صدفة ظهوره عندما قام اندرونيقوس الروديسكي بترتيب مباحث أرسطو، وضع اندرونيقوس70 ق.م عنوانا ميتافيزيقا لمباحث الفلسفة الاولى ،كما دعاها ارسطو التي تخرج من حيث موضوعها ومنهجها عن حدود العلم الطبيعي ولنقل التجريبي.

وانتقل هنا المصطلح الى الفلسفة العربية الوسطية ،وقد استعمل الفلاسفة العرب صيغا متعددة تختلف باختلاف فرضية الفيلسوف وتركيزه الفلسفي على ابعاد تحقيق معقوليته.

فهي عند الكندي تعني الفلسفة الاولى وعند الفارابي فهي علم الوجود بما هو موجود وعند الرازي العلم الالهي او الفلسفة الالهية عند الحسين بن سينا ،اما عند اخوان الصفا فهي دين

---

[1]- بوشسنكي ،المرجع السابق ،ص 150.

[2] -المرجع نفسه ، ص 151.

الفلسفة ، او العلم الكلي الالهي ،وقد ترسخت صيغ ما بعد الطبيعة باستعمال فيلسوف قرطبة محمد بن رشد عنوانا لمجلده العظيم، تفسير لما بعد الطبيعة [1].

- ✓ إذن الميتافيزيقا علم يعني بعالم وراء الطبيعة ،وقد اختلف استعمال المصطلح من العلم الالهي، والعلم الكلي ،وعلم الموجود بما هو موجود.

2-4الميتافزيقا اصطلاحا : أي ما بعد الطبيعة ،أو علم ما بعد الطبيعة ،وهي الفلسفة الاولى في مراتب الفلسفات ،وهو علم الربوبية ،والعلم بالموجود بما هو موجود ، والعلم الالهي الذي مجاله البحث في الموجود المطلق ،والحقيقة المطلقة لا الحقيقة النسبية ،والبحث في المبادئ الكلية والعلل الاولى واحوال الموجودات ،التي لا تفتقر في وجودها الى المادة[2].

- ✓ نفهم من هذا ان المقصود بالميتافيزيقا هو الماورائيات، وهي فرع من الفلسفة يهتم ويبحث في الوجود المطلق.

بعد الهجمات المتوالية التي تعرضت لها الميتافيزيقا من قبل الفلسفات الوضعية والعلمية لذلك علينا طرح التساؤل كيف فهم برغسون الميتافيزيقا ؟

بداية يجدر بنا الإشارة إلى أن برغسون فرق بين طريقتين للمعرفة ميز بين مجال العلم ومجال الفلسفة معتقدا أن هناك طريقتين لتحصيل المعرفة الطريق العلمي بأدواته وتحليلاته ومختبراته وطريق الميتافيزيقا بما لها من حدس نافذ ودائرة العلم هي دائرة المادة ودائرة الكم والاستدلال والمكان، ومنهجها هو التحليل وأداتها العقل بينما دائرة الفلسفة هي دائرة الروح دائرة الكيف والتوتر والزمان والديمومة ومنهجها هو التعاطف الروحي وأداتها هي الحدس الذي يقوم به الإنسان [3].

- ✓ أقام برغسون قطيعة بين الميتافيزيقا التقليدية ذات الطبيعة العقلانية و أقر بالميتافيزيقا التي ترتبط بالحدس، وبالتالي فصل بين مجال المادة ومجال الروح .

وعليه يرفض هنري برغسون الميتافيزيقا الفلسفية ذات الطبيعة العقلانية ويستبدلها بالميتافيزيقا الحدسية القائمة على الإدراك الحدسي بمعنى أن الفلسفة ليست تجريدا ما ورائيا بل لا بد أن تعود إلى الواقع[4].

---

[1]- معين زيادة ،الموسوعة الفلسفية العربية، المجلد1، معهد الانماء العربي، بيروت، لبنان، ط1986،1، ص 713.

[2] - عبد المنعم الحنفي ، مرجع سابق ، ص 859.

[3] -امام عبد الفتاح إمام ،مدخل الى الميتافيزيقا ،نهضة مصر للطباعة والنشر،القاهرة، مصر،ط1، 2005 ، ص 190 .

[1] -إبراهيم زكريا، برغسون ، سلسلة نوابغ الفكر الغربي ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ط1، 1956، ص 41.

- ✓ يريد برغسون أن يوضح أن الميتافيزيقا القائمة على الإدراك الحدسي هي الأساس وكل ميتافيزيقا عقلانية مر فوضة لا يمكن الإيمان بها .

هكذا من خلال هذا الفصل والتمايز الذي وضعه برغسون بين حقل المادة وحقل الروح وقف على حقيقة الشعور الإنساني الذي بإمكانه أن يدرك الحركة ذاتها وأن الحدس بنبضات الحياة ذلك أنه يعتقد أن الشعور العادي للإنسان يدرك الحركة لأنه ينظر إليها من الداخل على خلاف العلم الذي ينظر لها من الخارج لذلك فهو لا يرى خارج الأشياء ، أما الشعور أو الوعي فإنه يدرك الأشياء من الباطن [1].

- ✓ في اعتقاد برغسون فإن الشعور يدرك باطن الأشياء والعلم يدرك فقط ظاهر الأشياء أو خارجها.

إن الميتافيزيقا بهذا المعنى تمدنا بمعرفة تنفذ إلى باطن الشيء معرفة مطلقة وشتان بين المعرفتين إن الفارق بينهما هو نفس الفارق بين شخص يصف مدينة ما من الخارج وشخص يعيش في قلبها ويجوس خلال شوارعها ويجوب متاجرها ويتعرف عليها من الداخل وهو نفس معرفتك بشخص ما حين تقتصر على النظر إليه من الخارج فتصف أفعاله وحركاته وبين أن تنفذ إلى باطن ذلك الشخص عن طريق الحب إنك في حالة الأخيرة تدرك صميم وجوده وتنفذ إلى ماهية ذاتها [2].

- ✓ و بهذا المعنى ترتد الميتافيزيقا إلى علم النفس ليس بوصفه علما وضعيا ولكن بوصفه استبطانا ذاتيا.

[2] - امام عبد الفتاح امام ،المرجع السابق ،ص191 .
[3] - المرجع نفسه ،ص 193.

وفي هذا يقول برغسون هناك على الأقل حقيقة واحدة ندركها تماما من الداخل بالحدس وليس بالتحليل هي شخصنا نفسه ،في انسيابه عبر الزمن إنها ذاتها التي تدوم فقد لا تستطيع أن نتعاطف عقليا أو بالأحرى روحيا مع أي شيء آخر ولكننا لا ريب نتعاطف مع ذاتنا [1].

- ✓ فبرغسون شن حملة عنيفة على جميع المذاهب التي نظرت إلى الميتافيزيقا نظرة مختلفة وحاول فهمها من خلال ربطها بمنهجه الحدسي.

ويتوسع برغسون في حدسه الأساسي عن "الزمان" بوصفه جوهر الشعور فلا يطبقه على الميتافيزيقا وعلم النفس فحسب بل يطبقه على الحياة بوجه عام فيتحدث عن "تطور خالق" ويقول أن الزمان والحياة شيء واحد[2]

- ✓ بمعنى أنه لا يمكن فهم الحياة و الولوج إلى أعماقها خارج الزمان الذي يعتقد أنه الديمومة .

[1]- هنري برغسون ،الفكر والمتحرك، تر:سامي الدروبي الأوابد ،سوريا ،مرجع سابق ،ص 179 .
[2]- فؤاد كامل ،اعلام الفكر الفلسفي المعاصر ،دار الجيل ،بيروت ،لبنان، ط1993،1، ص 133.

الفصل الأول: نقد النزعة العلمية

المبحث الأول : الثورة على المادية

المبحث الثاني : الثورة على الميتافيزيقا

المبحث الثالث :الدافع الحيوي والتطور

المبحث الرابع : الحدس والحقيقة المطلقة

المبحث الأول : الثورة على المادية

يعد هنري برغسون من الفلاسفة المعاصرين الذين ناقشوا قضية التطور ، ولكن ليس بالمنهج العلمي والبيولوجي كما عند داروين أو لا مارك أو برونونيير أو هربرت سبنسر، أو أوجست فايزمان أو هرجودي فريز، بل وفق رؤية حدسية قائمة على الكتابة الشاعرية والشذرات الفلسفية المحكمة التي تجمع بين الأدب والتأملات الفلسفية الألمانية المعاصرة ، كما يبدو ذلك جليا عند فريدريك نيتشه ومارتن هيدجر وشوبنهاور ، وبهذا فلقد واجهت فلسفة برغسون الحيوية كلا من النزعة الآلية الميكانيكية والنزعة المادية مواجهة نقدية حاسمة ، وقدم برغسون فلسفة للحياة من خلال نظرية التطور في الإطار الذي حدده كل من سبنسر و داوين، فقد عرض لتطور الحياة في لغة شعرية وأدبية بعيدة عن اللغة العلمية التي استخدمها علماء البيولوجيا ،وقد اتخذ من الوثبة الحيوية أصلا للتطور، كما عرضها في كتابه (التطور الخلاق) عام1907[1] .

- ✓ فبرغسون ينظر للحياة على أنها تتطور ولا تمض على وتيرة واحدة، لذلك ثار على كل النزعات المادية التي نظرت للحياة من زاوية ضيقة ،وبالتالي رفض المنهج العلمي .

ولم يكشف العقل عن هذه الدفعة أو الوثبة الحيوية بل هناك ملكة أسمى منه في رأي برغسون وهي ملكة الحدس التي نتعرف من خلالها على ما بداخلنا من صيرورة مستمرة وديمومة حقيقية وهي الملكة الوحيدة القادرة على فهم الحياة ،وإدراك الكل كما هو حي ومتغير ومتحرك وجديد في الزمان [2] .

- ✓ إذن دائما لا يعترف برغسون بدور العقل ويعتقد انه قاصر في فهم الحياة ،وفي الكشف عن الوثبة الحيوية ، ويعتقد أن ذلك لا يتأثر إلا من خلال الحدس فهو الملكة الوحيدة القادرة على فهم الحياة .

كثيرا ما يبدأ الفكر الإنساني بدراسة نفسية ثم ينتهي إلى إحدى نتيجتين فهو إما أن ينظم العقل في سلك المظاهر المادية التي تخضع للقوانين الآلية الصارمة ، ثم ينصرف بناءا على ذلك إلى دراسة الوجود المادي بما فيه من صور وأوضاع ،وإما أن ينتهي إلى إنكار ذلك الوجود المادي جملة وتفصيلا واعتباره من خلق العقل ثم يتجه على هذا الأساس إلى

---

[1]- Henri Pergson , l'évolution créatrice , paris , Felix Alcan , coll<< bibliothèque dephilosophie contemporaine >> ,1907.

[2] - عطيات أبو سعد ، الحصاد الفلسفي للقرن العشرين ، حصاد القرن ، منشورات مؤسسة عبد الحميد شومان ، عمان ، الأردن ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2007، ص 467.

دراسة العقل وحده ،لان في دراسة الوجود بأسره مادام العقل هو الذي خلق الوجود خلقا وأنشأه إنشاء.

ولذلك نجد أن الفلاسفة انقسموا إلى قسمين فريق ينصرف إلى العلوم الطبيعية لأنها السبيل إلى فهم مظاهر الكون حسب اعتقادهم ، وفريق ينكب على دراسة النفس لأنها هي كل شيء حسب اعتقادهم أيضا[1] .

- ✓ نفهم من هذا أن برغسون دائما يقيم فصلا بين مجال الروح ومجال المادة.

ويمكن القول على هذا الشيء من الدقة والتأكيد أن تاريخ الفلسفة الحديثة يصور لنا هذا الصراع الضيق القائم بين علم النفس والعلوم الطبيعة ،بل يمكن القول أن الصراع ينحصر بين هاتين المدرستين الفلسفتين في تاريخ الفكر الحديث إذا ما صح التعبير على الفكر بالقديم والحديث[2] .

- ✓ لقد كان الفلاسفة ينشدون الحقيقة في دراسة الظواهر المادية في حين أن علماء النفس كانوا يلتمسونها في دراسة النفس دون المادة .

في عصر كهذا ظهر برغسون واستطاع بقوة إيمانه وأصالة أفكاره أن يحارب أفكار هذا العالم الحائر بين المادية والروحية اللاإرادية عكف برغسون على دراسته المذهب المادي الذي يتلخص في أن العالم كله مواد من المادة والحركة ،وأن الفكر والحياة وكل خصائص الإنسان ليست سوى أعراض مختلفة لتفاعل المادة والقوة ،ولكن برغسون كلما أمعن في تلك النظرية ازداد يقينا بفسادها ، حيث كان يتساءل في دهشة إذا كان العقل مادة ،وكانت كل عملية عبارة عن هذه عصبية لا أكثر ولا اقل ،فما هو الشعور وما فائدته ؟ أليس مجرد وجود الإدراك قويا على أنه غير ما يتصوره المذهب المادي [3].

- ✓ وبالتالي نستنتج أن برغسون درس المذهب المادي ليخلص إلى الضرورة والحركة والإبداع في الكون والحياة ويوقظ الجاني الروحي الذي استولت عليه المادة.

وما تجدر الإشارة إليه أن برغسون يشير في مؤلفه (الفكر والمتحرك) إلى أنه يمكن ان يكون العلم ميتافيزيقا المادة ،ويمكن أن تكون الميتافيزيقا علم الروح لاعتمادها على المنهج الحدسي وهذا ما يتضح في قوله " فإذا كانت ثمة وسيلة تمكننا من إدراك الواقع إدراكا مطلقا بدلا من أن نعرفه معرفة نسبية وسيلة تمكننا من وضع أنفسنا في الواقع بدلا من النظر إليه من جهات مختلفة ،وسيلة تتيح لنا أن نحدس الواقع حدسا بدلا من أن نحلله

---

[1]-موسى الموسوي ، فلاسفة أوروبيون من ديكارت إلى برغسون ، دار المسيرة ، عمان ، الاردن، ط 1 ، 1980 ، ص 117.

[2]- المرجع نفسه ، ص 118.

[3]- موسى الموسوي ،المرجع السابق، ص 119.

تحليلا، أي تتيح لنا أن ندركه إدراكا مستقلا عن أي تعبير أو ترجمه أو تمثيل رمزي فان الميتافيزيقا هي في هذا نفسه[1] .

- ✓ نفهم من هذا ان برغسون يميز بين نوعين من الميتافيزيقا المادية ومجالها العلم والميتافيزيقا الروحية وهي مرتبطة بمنهجه الحدسي .

لقد حادث الفلسفات المادية عن تفسير الزمان تفسيرا حقيقيا، حيث نجدها تفسر تركيب الاجسام بالتفسير الذري في الكيمياء الذي يؤكد على وجود حركات في الجزئيات ، أما في ميدان الطبيعيات فهي تذهب إلى القول بان الصوت والحرارة والنور تمثل اهتزازات وتموجات يستطيع الانسان قياسها وإحصائها ومن ثم تصورها بطريقة آلية ميكانيكية ،وهي العملية التي تزعمها كل من هربرت سبنسر وهيوبوليت والتي تذهب الى القول بان الإحساسات الإنسانية تمثل وحدات إحساسية إذا ما انضمت إلى بعضها البعض كونت مختلف الإحساسات النوعية[2]

- ✓ إذن الفلسفات المادية لم تفسر الزمان تفسيرا حقيقيا كما أقر بذلك برغسون فتفسيرها للزمان كان تفسيرا ماديا فزيائيا رياضيا على العكس من برغسون الذي سلط الضوء على الزمان النفسي (الروحي) .

ويرى برغسون ان العقل أداة العلم ، اما الحدس او الوجدان فهو أداة الفيلسوف ، العقل لا يدرك الا المادة ، اما الوجدان فيضعنا فورا في داخل الواقع ويجعلنا نشهد الصيرورة الخالقة ، ولما كان العقل يتجه دائما نحو الفعل، ، نحو ما هو مفيد عمليا ، فانه لا يعطينا غير معرفة جزئية ،اما الوجدان فينصرف عن كل ما هو مفيد عمليا ، ويرى الأشياء من زاوية المدة، ويعطينا معرفة شاملة ، انه يدرك اللامتجانس ، والتوالي الكيفي ،والمتصل ،والتداخل المتبادل ،وما لا يمكن التنبؤ به والممكن والحرية والحياة ،وبالجملة الروح [3] .

- ✓ إذن المذاهب المادية والعلمية باختلاف أنواعها فهي تفسر الظواهر المادية والحسية والحياتية والنفسية والاجتماعية والاقتصادية ،وغيرها تفسيرا ماديا بحتا .

فالفلسفات العلمية ترمي كلها الى دحض التفسيرات الروحية والميتافيزيقية للظواهر الطبيعية ، وإحياء المذهب الميكانيكي للطبيعيات والكيمياء، والعودة الى النظريات المادية

---

[1]- هنري برغسون ،التطور المبدع ،مصدر سابق ،ص4.

[2]- اندريه كريستون ،برغسون ، حياته ، فلسفته ،تر: نبيه صقر ،منشورات عويدات ،القاهرة ، مصر،د . ط ، د .ت .ص 19،20 .

[3]- فؤاد كامل ، مرجع سابق ،ص132.

التي تزعمها كل من لا مارك وداروين، قصد إعطاء تفسير علمي جديد للكون يقدم أساسا على قوانين علمية صارمة صالحة لكل زمان ومكان[1] .

- ✓ نفهم من هذا ان الفلسفات المادية ترفض وتعرض عن كل تفسير روحي وميتافزيقي للظواهر الطبيعية وتعود إلى التفسيرات المادية التي كانت مع لامارك وداروين .

إذن تجدر الإشارة إلى ان برغسون وهو يعرض تعاليم فلسفته الروحية ،رأى ضرورة الفصل بين مجال العلم ومجال الفلسفة ،حيث أكد أن هذه الأخيرة موضوعها الروح ، ومنهجها التجربة الباطنية والروحية ومصدرها الحدس الذي أساسه التعاطف الروحي او العزيزة السامية على خلاف العلم الذي موضوعه المادة ومنهجه التجربة الخارجية والحسية ومصدرها الفهم التصوري [2] .

- ✓ يقيم برغسون فصلا بين مجالي العلم والفلسفة ، فالفلسفة ترتبط بالروح والعلم يرتبط بالمادة وهو يعرض عن كل ما هو مادي ويذهب إلى أن الفلسفة ترتبط بالحدس والديمومة .

حيث يحدد الحدس بمثابة القوة التي نعرف بها الزمان الحقيقي او الديمومة التي لا يجب ان نخلط بينها وبين زمان الساعات الفضائي .

ومن هنا تكمن راهنية الفلسفة البرغسونية في أفق ما بعد الحداثة بذلك الكشف الذي مكنت له عبر فتحها لحقول ما وراء ثوابت الحداثة ،فكانت الديمومة أنطولوجيا مجاوزة لاختزالية التصورية العلمية لطبيعة الطبيعة سواء كانت جامدة او حية انسانية ، ثم أن الحدس سيمثل تسربا صريحا لتمكن الذات من محايثة المعرفة خارج اسوار العقل الأداتي لذلك تكون البرغسونية قد سمحت بواسطة آلية المقاربة الثنائية من فتح آفاق المعرفة خارج ما تواطأ عليه العقل الأداتي ومنشأه لأنموذج من الابستمولوجيا النقدية تعبر عن ضد التحالف القائم بين اقطاب الميتافيزيقا الحداثة العقل الاداتي العلم والتقنية [3] .

- ✓ يمكن للديمومة فهم الحياة خارج اسوار العقل الأداتي، وبالتالي تجاوزت الديمومة العلم والتقنية في الحداثة .

بهذه الروح الفلسفية الهادفة الى إختراق أقانيم الحداثة الثلاثة ،وكان السبيل لذلك الديمومة التي لعبت دورا محوريا ورئيسيا في الفلسفة البرغسونية ، باعتبار ان برغسون حدد لها

---

[1]- فريدة غيوة، اتجاهات وشخصيات في الفلسفة المعاصرة ، دار الهدى للنشر ، عين مليلة ، الجزائر ، د . ط . د . ت ، ص 27.

[2] - الربيع ميمون ، نظرية القيم في الفكر المعاصر بين المطلقية والنيسبية ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، د . ط 1980 ، ص 79.

[3]-نورة بوحناش ،اشكالية القيم في فلسفة برغسون ، منشورات الاختلاف ،الجزائر ،د.ط، ،2010 ،ص11.

مهمتين :" الاولى نقدية اعتنت بيان محدودية العقلانية المؤسسة لشرط الحداثة وكذا بيان الطابع السلبي لمنهج العلم الذي يعمد الى اختزال الواقع* مما حذا به الى تشويه الموضوعات التي لا قبل له بدراستها" [1] .

- ✓ هذا يعني ان الديمومة تكشف عن الجانب السلبي للعلم الذي أقر بالزمان الرياضي الستاتيكي بعيدا عن الزمن الروحي الديناميكي.

يريد برغسون هنا ان يوضح مدى اخفاق الفلسفات العقلانية في رؤيتهم الضيقة للعالم ، ومدى قصور العلم في فهم العالم أما المهمة الثانية: "فهي بنائية مكنت من تأسيس حقل ابستمولوجي يستعصى على العلم وممكن لحضور مميز لا يفقهه العقل ، وبهذا التأسيس تبنت نهج مغاير للواقع الذي يعد عينة للدرس العلمي ذلك ان مثل هذا الواقع المناهض سار الى توطيد دعائم أنطولوجيا تتجه الى الاخلاقية والروحانية المغايرة لجمود الذات التي يدرسها العلم "[2] .

- ✓ نفهم من هذا ان نظرة العلم للعالم و الحقيقة نظرة ضيقة جامدة خامدة تقتل الفلسفة التي مجالها الروح .

لذلك اعتبر برغسون أن علاقة المحايثة بين الذات والموضوع في العقل المعرفي الحادث في الديمومة صميم منهج الحدس الذي يتعالى على العقل، متمكنا من ادراك الحقيقة ، بضرب من التقويم يستطيع المحافظة على الكيفية للموضوعات ، وبهذه الوسيلة تكون البرغسونية قد قدمت بديلا منهجيا يقوم مقام منهج العلم الذي يتأسس على عدم التمييز بين طبيعة عيناته المدروسة سواء الكمية منها او الكيفية ، مما ادى الى نتائج خطيرة على العلوم الاخلاقية بوجه عام[3] .

- ✓ إذن اكد برغسون على اختلاف الحياة النفسية عن الظواهر المادية ،فالأولى تقوم على التواصل والتداخل، تلقائية أي أنها من انبعاث من باطن وخلق مستمر وديمومة ، وهي كيف بحث مغاير للكم ، في حين تتصف الثانية بالتعاقب والتمايز ،موجودة بجميع أجزائها ،ثابتة لا تتغير.

---

[1]- نورة بوحناش ،المرجع السابق ،ص13.

* - ويعني اختزال الانسان في العالم ،ويعتبر ان نفس الانسان قوانين العالم الجامدة تنطبق على الانسان الحي ...اي يختزلون الحياة في المادة او في الجماد .

[2]- نورة بوحناش ،المرجع السابق ، ص13.

[3]- المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

المبحث الثاني : الثورة عـــــلى الميتافيزيقا

إن العلم حسب برغسون مرتبط بالعقل الخالص وهدفه الاساسي التحكم في المادة ، أما الميتافزيقا فموضوعها الروح ومنهجها الحدس، وعليه يرفض هنري برغسون الميتافيزيقا الفلسفية ذات الطبيعة العقلانية ،ويستبد لها بالميتافزيقا الحدسية القائمة على الادراك الحدسي، بمعنى أن الفلسفة ليست تجريدا ما ورائيا، بل لابد من أن تعود الى الواقع ، وترتبط بالعلم من أجل ان تحقق النتائج المرجوة لذا يدعو برغسون الى تمثل فلسفة الحدس والفعل والعمل ، ومن هنا" لا يريد برغسون للفلسفة أن تحلق في سماء المجردات، بل هو يرى أنه لابد لها من أن تحذو حذو العلم ، فتعود الى الواقع، لكي تقوم بدراسة الظواهر "[1] .

- ✓ إذن برغسون يعتقد بوجود ميتافزيقا العلم مجالها المادة وميتافزيقا الحدس ومجالها الروح، ويرفض الأولى لأنها جامدة وثابتة.

واذا كان كثير من الفلاسفة قد درجوا على الانتقال من التصورات الى الواقع ، فان برغسون يريد للفلسفة أن تنتقل مع الواقع إلى التصورات وذلك لأننا حين نحاول فهم الوجود عن طريق طائفة من المفاهيم العقلية ،فإننا لابد من أن تنتهي الى مذاهب ميتافيزيقية متهافتة قوامها تفسير الحياة والروح بالرجوع الى أداة ميكانيكية يستخدمها المرء للتصرف في المادة ، ولكن التصور في رأي برغسون لم يجعل للنظر أو المعرفة بل للعمل او الفعل ، فلا سبيل إلى اختراق الواقع إلا عن طريق ضرب من الحدس الذي نقلب فيه الاتجاه العادي لنشاطنا الفكري العملي"[2] .

- ✓ وليس الحدس هنا – بالمفهوم الميتافزيقي والما ورائي – بل هو عبارة عن معرفة مباشرة بالموضوع تنفذ الى الداخل ، ولا تعنى بما هو خارجي او ما هو بعيد .

والميتافيزيقا الحقة إنما هي ذلك الجهد الحدس الذي نقوم فيه بضرب من الفحص الروحي لها ، فنفذ الى أعماق الواقع محاولين أن نسمع ضربات قلبه أو الفارق في رأي برغسون بين الفيلسوف والعالم أن الفيلسوف ينظر الي الواقع نظرة صداقة وتعاطف ،في حين ان العالم لا ان ينظر الى العالم نظرة ملؤها الاحتراس والتحرز[3] .

- ✓ إن الملاحظ للمقارنة والفارق الذي اقره برغسون بين الفيلسوف والعالم يلاحظ يرى ان برغسون اراد ان يقول ان الفيلسوف ذاتي والعالم موضوعي ، والفلسفات ذات النزعة العلمية لا تولي اهمية للجانب الذاتي .

1- ابراهيم زكريا ، برغسون ،مرجع سابق ،ص 40.
2- المرجع نفسه ، ص41.
3- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

فالعالم في صراع دائم مع الطبيعة ، وهو مضطر ، كما قال بيكون إلى أن يطيع الطبيعة ويخضع لها حتى يتسنى له أن يسيطر عليها ويتحكم فيها، وأما الفيلسوف فإنه لا يطيع ولا يأمر ، بل هو يسعى دائما إلى أن يصادق ويشارك ويتعاطف ، وهذا التعاطف في الحقيقة هو ما أطلق عليه برغسون اسم الحدس ، فالمعرفة الحدسية بهذا المعني هي تللك المعرفة المباشرة التي تمزق حجب الألفاظ وشباك الرموز ، لكي يمضي إلى المصدر الأصلي نفسه محاولين أن تنفذ إلى صميم حياته الباطنية فلا نلبث في النهاية أن نلبس الواقع لباس يجئ على قده ، وتبع لذلك فقد انتهى برغسون إلى القول بأننا نستطيع عن طريق الحدس تلك الملكة الفائقة للعقل أن نتوصل إلى حل الكثير من المشكلات الميتافزيقية التي ظلت حتى الآن مستعصية على الحل [1] .

- ✓ نفهم من هذا أن برغسون يرفض الميتافيزيقا العقلية ويأتي بميتافيزيقا بديلة أو جديدة يسميها ميتافيزيقا حدسية .

يريد برغسون أن يلخص الفلسفة من التصورات العقلية والمعرفية التي تحكمت بالميتافيزيقيا الغربية ، لأنها افتقدت الى أساس صحيح في دراستها الحركة التطور فقد وجد المذهب الغائي بان تكيف الكائنات مع بيئتها خاضع لعلل غائبة ، بينما فسرها المذهب الميكانيكي بأسباب ميكانيكية بحتة ،وهذا ما استنكره برغسون لأن التكيف مع البيئة وان كان شرطا ضروريا للتطور إلا ان ذلك لا يعني أن الظروف الخارجية هي الأسباب الموجهة للتطور كما يدعي المذهب الميكانيكي والتكيف لا يستهدف تحقيق خطة معينة كما يدعي المذهب الغائي ، لأن التطور لا يخلق أشكال الحساب فحسب ، بل أنه يخلق المعاني والألفاظ التي قد تسمح للعقل بفهمها والتعبير عنها ، فلا يجوز مصادرة المستقبل باسم التطور الحاصل في الحاضر ،وبما أن وحده الحياة توجد بأسرها في الوثبة الحيوية التي تدفعها عن طريق الزمن فإن الانسجام يوجد الى الوراء لا إلى الأمام [2] .

- ✓ إذن كل من التفسير الآلي والغائي حسب برغسون لا يفسر الحياة والتطور والإبداع والجانب الروحي .

ويعتقد برغسون أن تطور الحياة ليس له اتجاه واحد لأن الحياة انفجرت إلى أفراد وأنواع ، وأفضل حل لمشكلة الحياة هي العودة من الشظايا إلى الحركة الأصلية التي كانت أساس هذا الانفجار ، فالحياة تمتلك في صلبها قوة بيولوجية متفجرة من جهة تعترضها مقاومة المادة من جهة أخرى ،وعندما اختل التوازن بينهما ظهرت الأشكال المتنوعة للحياة ، أي أن الحياة خضعت بعض الخضوع لمقاومة المادة قبل الانفجار ، واحتاجت عصور من الجهد لاجتياز مقاومة المادة ، من هنا كانت الأشكال الأولية للحياة أشبه ما تكون بالمادة في

---

[1]- ابراهيم زكريا ، برغسون ،المرجع السابق ، الصفحة نفسها.

[2]- هنري برغسون،التطور الخلاق ،مصدر سابق ،ص99،101.

جمودها وسكونها " فلنتصور المادة الحية في صورتها الأولية التي ظهرت بها أول الأمر أنها مجرد كتلة بروتوبلازمية ككتلة الأميب تستطيع أن تغير شكلها ولا تكاد تكون شاعرة "[1] .

- ✓ يقر برغسون أن الحياة تأسست نتيجة الانفجار فهي قوة متفجرة من أفراد وأنواع ، وبالتالي فهي لا تتسم بالثبات والسكون .

ولم تأتي الميتافيزيقا البرغسونية لتلغي العقل وترفع من شأن الحدس بل جاءت لتصحيح الغلط الناتج بينهما ، فالعقل أداة صالحة ونافعة في مجال العلم لدراسة المادة والكشف عن القوانين التي تفسر الظواهر الفيزيقية ،ولكنه لا يستطيع أن يفهم الديمومة الحقة أو الحياة، بل يبقى يدور حولها من الخارج ويأخذ عنها أكبر عدد ممكن من المشاهد دون أن يدخل فيها "فالعالم الحقيقي هو عالم الديمومة المطلقة التي تتدفق سيلا من الحالات الشعورية المتداخلة التي لا تتكرر نفسها ، لأنها ليست صفات ثابتة ، بل هي كنهر دائم الجريان لا سبيل إليه إلا عن طريق الحدس الذي يهبنا الجريان الحقيقي أما العقل فيتخيل الديمومة كنسخة تفتقد إلى الأصالة فهو كالكاميرا السينمائية التي تسكن المتحرك في المكان ولا تحصل على الحدس الحقيقي "[2] .

- ✓ لا يعترف برغسون بأي عالم خارج عالم الديمومة الذي اعتبرها مطلقة ، وهي تيار متدفق لا يعرف الثبات ، فقد شبهها بالنهر الجاري ولا سبيل لبلوغها إلا من خلال الحدس .

إذن العقل يسلك سلوك آليا ويحلل ويركب الساكن لا المتحرك ويترجم ما يحلله ويركبه الى رموز أو قوانين تعبر عن ظاهرة معينة، لذلك فهو يفترض ، وعلى نحو دائم تقابلا بين ذات عارفة وموضوع معرفة أم الحدس فلا يحلل ولا يركب فهو رؤية بسيطة تنفذ من خلالها إلى الحركة الحقيقية أو الديمومة على نحو مباشر" وما سأشعر به عندئذ لن يكون متوقعا لا على النقطة التي أنظر منها إلى الشيء لأنني سأكون في الشيء ذاته ولا على الرموز التي قد أترجمه بها، لأنني سأعدل عن أي ترجمة وأمتلك الأصل، أي أن الحركة لن تكون مدركة من خارج من عندي إن صح التعبير ، بل يتكون مدركا من الداخل في ذاتها سوف أدرك عندئذ شيئا مطلقا"[3] .

---

[1]- هنري برغسون ،الطاقة الروحية ، تر: سامي الدروبي ، الاوابد،،سوريا ،د .ط 1945،1 ،ص35.

[2]- .Booding.j.E:Arealistic universe,an introduction tomoaphysics,p67.

[3]- هنري برغسون ،الفكر والواقع المتحرك ،مصدر سابق ،ص176.

- ✓ ومعنى هذا أن برغسون يعيب العقل ويعتبر تفسيره تفسيرا آليا ساكنا لا متحركا، ويجد أن السبيل الأمثل دائما لبلوغ المطلق يتأتى من خلال الديمومة والحدس .

ولكن من الصعب الوصول الى الحدس بسهولة لأننا تعودنا على استخدام عقلنا بشكل طبيعي إلا أنه ليس أمرا مستحيلا إذا صممنا على معارضة ميولنا الطبيعية التي اعتدنا عليها من أجل عودة عنيفة إلى داخلنا تمكننا من استخدام قدرتنا على الحدس لتطابق بين الحياة "وبهذا المعنى فإن المعرفة الداخلية المطلقة لديمومة الذات من قبل الذات نفسها أمر ممكن ا"[1] .

إذن لا يمكن إحراز المعرفة بالديمومة إلا بالحدس الذي يعد ضرب من ضروب الادراك الذي يلتحم بالأشياء إلتحاما ، وينفذ إلى باطنها مباشرة .

ولكن ثمة صعوبة في التعبير عن تلك المعرفة بأفكار واضحة ومحددة أو البرهنة عليها ، وكل ما نستطيع فعله هو إعانة الآخرين على الشعور بحدس مشابه لحدسنا ، وهذا ما يفسر ثراء كتابات برغسون بالصور الموحية والخيالات والتشبيهات [2] .

- ✓ لعل ما جعل برغسون يستخدم التشبيهات والخيالات وكتاباته إذن هو صعوبة التعبير عن تلك المعرفة المباشرة التي طالما ارتبطت بمنهجه الحدسي .
- ✓ نستنتج مما سبق أن الميتافيزيقا العقلية كما أنه ربطها بمنهجه الحدس ، كما أن المطلق لا يدرك إلا من خلال الحدس ، وما عداه يعود إلى التحليل .

[1]- هنري برغسون ، الفكر والواقع المتحرك ،المصدر السابق ،ص 188 .
[2]- المصدر نفسه ، ص180.

المبحـــــث الثالث : الدافع الحيوي والتطور

لعل أن برغسون من الفلاسفة المعاصرين الذين ناقشوا مسألة التطور والضرورة لكن مناقشة تختلف عن الفلاسفة وفيها دائما نقد للنزعة العلمية .

فإذا كانت الأدلة على وجود الله غير ناهضة فكيف نعرف الله ؟ لا يبقى لدينا سوى التجربة ، والواقع أن برغسون يدعو إقامة ميتافزيقا تجريبية مبدأها أن كل موجود هو بالضرورة موضوع تجربة حاصلة أو ممكنة ويرى أن لنا تجربة إلهية فيقول "إن حدس ديمومتنا يصلنا بديمومة تتوتر وترتكز وتزداد اشتداد حتى تكون الأبدية في الحد الاقصى " [1] .

- ✓ بعد أن كانت الميتافيزيقا التقليدية مجردة ، سعى برغسون إلى تأسيس ميتافيزيقا تجريبية تقوم على أن كل موجود موضوع تجربة .

وأبدية الله ديمومة كذلك ، وهنا يختلف برغسون عن الفلاسفة الدين يرون أن الله ثابت مستكف بنفسه فيقول : "ولكن الموجود الكافي نفسه ليس غريبا عن الديمومة بالضرورة " " وإن في الحركة لشيئا أكثر مما في الثبات " إن إله الفلاسفة وليد العقل ونتاج فعله المجرد المجمد ، وهكذا يطبق برغسون فلسفة الصيرورة إلى النهاية [2] .

- ✓ يعارض برغسون الفلاسفة الذين سلموا بثبات الله ليقر بأن الله لا يتسم بالثبات ،وهكذا أن صيرورة برغسون مست حتى الله .

و يستبدل الإله الثابت باله متغير أي أن الله عنده موجود نسبي مركب من فعل وقوة ، موجود ناقص" يتضخم كلما تقدم " ويكتسب شيئا جديد بلا انقطاع ، وليس هذا شأن الله أو العلة الأولى كما ذكرنا غير مرة يظن برغسون أن الثبات معناه الجمود والواقع أن الفلاسفة يثبتون أن الله حي ، بل الحياة بالذات ويريدون بثباته أن حياته هي هي دائما كما يجب للعلة الأولى [3] .

- ✓ الإله الذي يستبدل به برغسون الإله الثابت هو الإله المتغير وهو إله نسبي ناقص والثبات هو اعتقاده هو الجمود بينما إله برغسون ليس جامدا.

وترتبط الوثبة الخلاقة بالمحرك المبدع والخالق الأول ألا وهو الله فهو المسؤول عن هذه الوثبة المتطورة التي تستمر في الزمان، ويعني هذا المصطلح أن التطور عملية خلاقة تستمر في الزمان، و ليس محدد سلفا سواء عن طريق خالق عالم وقادر، أو عن طريق مادة تحكمها قوانين آلية ،التطور يأخذ مجراه بصورة تلقائية ، وفق توجيه الدفعة الحية أو

1- يوسف كرم ، مرجع سابق ،ص 424.
2- المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.
3- المرجع نفسه ،الصفحة نفسها.

الدافع الحي والدفعة الحية هي الله بالمعنى الذي يؤمن به برغسون والذي يختلف أتم الاختلاف عن اللاهوت التقليدي[1] .

- ✓ لا يفرق برغسون بين الدفعة الحية والله فهما واحد وبالتالي لا يعترف باللاهوت التقليدي .

ويعني هذا كله أن التطورات الكائنات والتغيرات التي تحدث في الخلايا ناتجة عن الدفعة الحية المسؤولة عن كل التطورات التي تطال المخلوقات البشرية والنباتية والحيوانية ، كما أنها مسؤولة عن كل التعديلات الوراثية والاختلافات البيولوجية التي تتحقق عندها وبالتالي تربط هذه الدفعة الحية "كل الأجيال معا فعن طريقها يتحد انسان اليوم مع أسلافه البعيدين للغاية الذين يرتدون إلى كتلة المادة الهلامية البروتوبلازمية القليلة التي ربما كانت في جذر شجرة الحياة الخاصة بالنسب على الأرض ، إن الموجود الحي المفرد هو علاوة على ذلك درب نافذ تنتقل الدفعة الحية بواسطته من جيل الى آخر ،و تواصل الدفعة الحية السير إلى الأمام باستمرار ،متغلبة على العقبات التي تقف في مسارها متى استطاعت ، وتستخدم الوسائل المتاحة"[2] .

- ✓ كل الكائنات تتطور وتتغير نتيجة الدفعة الحية وهي المسؤولة عن هذا التطور

كما أن برغسون ينتقد كل رؤية للعالم تقوم على اختلافات في الدرجة أوفي الحدة تفقد فيها في الواقع الشيء الجوهري أي تمفصلات الواقع والاختلافات النوعية ،الاختلافات في الطبيعة هناك اختلاف بين الحير والزمان، المادة والذاكرة الحاضر والماضي ....الخ هذا الاختلاف لا نكتشفه إلا لفرط تفكيك الخلائط المعطاة في التجربة [3] .

- ✓ يقر برغسون بالعودة إلى التجربة وملاحظة الاختلافات القائمة بين الحاضر والماضي والخير والزمان ورفض الاختلافات المادية القائمة على الدرجة "الحدة "

ماذا يريد برغسون من الاندفاع الحيوي ؟ أن الأمر يتعلق دائما بإمكانية فعل في طور التفعل ، ببساطة في طور التمايز بجملة في طور الانقسام هذا هو جوهر الحياة إن يجري العمل "بالفصل والازدواج "بالتفرع الثنائي ، إن الحياة تنقسم في الأمثلة الأكثر شهرة إلى نبات وحيوان ،والحيوان ينقسم إلى غريزة وعقل ،والغريزة تنقسم بدورها على عدة اتجاهات تتفعل في أنواع شتى وللعقل هو بالذات أنماطه أو تفعلاته المخصوصة "كل شيء يحدث كما لو كانت الحياة تختلط بحركة التمايز بالذات ، في سلالها المتشبعة ،ولاشك في أن هذه الحركة يفسرها اندراج الزمان في المادة،

---

[1]- وليم كلي رايت ،تاريخ الفلسفة الحديثة ،تر :محمود سيد أحمد ،دار التنوير ،بيروت ،لبنان ،ط.1، 2010 ،ص535.

[2]- المرجع نفسه ،ص 537

[3]- جيل دولوز ،مرجع سابق ،ص106.

يتمايز الزمان إنطلاقا من العوائق التي يلتقيها في المادة انطلاقا من المادية التي تجتازها من نوع الامتداد الذي تقلصه ، لكن ليس للتمايز سبب خارجي فقط ، إن الزمان إنما يتمايز في ذاته بواسطة قوة متفجرة داخلية " [1] .

✓ تتأسس فلسفة برغسون على الإندفاع الحيوي والفصل بين الغزيرة والعقل .

وإذا كان الدافع الحيوي عند الحيوانات والحشرات والنباتات غريزيا وفطريا ومحدودا فإنه عند الإنسان عقلي وذكائي وإبداعي ،وبذلك يبلغ الانسان مرتبه في الكمال والثراء والإتساع مقارنة بالحيوانات والحشرات أي "أن الدفعة الحية لا تكون ناجحة إلا من بعض الوجوه في تطورها الدنيوي ، فهي تصبح خامدة وراكدة في النباتات ، وتكون غارقة في سبات في الحيوانات شوكية الجلد والحيوانات الراخوية ولا تبلغ استبصار حدسا في الحشرات إلا على حساب حصر نفسها بمعرفة موروثة ، وتبلغ في الإنسان ضبطا ملحوظا للطبيعة عن طريق العقل أو الذكاء على حساب الغريزة والحدس إلى حد كبير" [2] .

✓ ربط برغسون الدافع الحيوي عند الحيوانات بالغزيرة والفطرة وعند الإنسان بالعقل والذكاء والإبداع .

إذن يتحقق التطور الحقيقي للكائنات بواسطة الدافع الحيوي الذي يتأرجح بين الدافع الغريزي عند الحيوانات والدافع العقلي و الذكائي عند الكائنات البشرية [3] .

تقوم دراسة حركة التطور إذن على الفصل بين عدد من الاتجاهات المتباينة، وعلى تقديم خطورة ما حدث في كل اتجاه منها ، أي باختصار على تحديد طبيعة النزعات المنفصلة وعلى تعيين مقاديرها فاذا ألفنا بين هذه النزعات حصلنا على صورة تقريبية أو بالأحرى شبيهة بصورة المبدأ المحرك غير المنقسم الذي تصدر عنه اندفاعاتها ،ومعنى ذلك أننا نرى التطور أمر مختلف تمام الاختلاف عما ذهب إليه المذهب الآلي من القول أن التطور ناشئ عن سلسة من المؤلفات بين الشئ والظروف المحيطة به ومختلف كذلك تماما عما ذهب إليه المذهب الغائي من القول أن التطور عبارة عن تحقيق خطة عامة [4] .

---

[1]- جيل دولوز ،المرجع السابق ،106.

[2]- وليم كلي رايت ،مرجع سابق ص541.

[3]- Henri bergson , la pensee et mouvant , paris ,p.v .f ,1946 , p8.

[4] - هنري برغسون ،التطور المبدع ،مصدر سابق ،ص 96.

- ✓ يعارض برغسون بقوة المذهب الآلي الذي ربط التطور بالتركيب في الأشياء والمذهب الغائب الذي اعتبر التطور خطة علمة

"ولكن إذا كان تطور الحياة مختلف عن تسلسل حالات التكيف بحسب الظروف العرضية فإنه مختلف كذلك عن تحقيق خطة لأن الخطة تكون متقدمة على حدوث الشئ ،وهي متصورة أو ممكنة التصور على الأقل "[1] .

- ✓ لا شك ان برغسون يربط كل تطور وحركة وصيرورة بالديمومة التي تعد تيار متدفق لا يعرف السكون .

[1]- هنري برغسون، التطور المبدع ، المصدر السابق، ص97.

المبحث الرابع: الحدس والحقيقة المطلقة .

يعتبر الحدس عند برغسون انعكاسا لفلسفته النقدية وهذا ما يظهر في كتابة التطور الخلاق الذي يرسم فيه مسارين مسار التطور البشري وأساسه العقل ، ومسار التطور الحيواني وأساسه الغريزة ، فبدأ بنقض العقل وذلك أن الحياة كانت في الظهور أوسع من المعرفة وهذا ما يصرح به برغسون في كتابه "الطاقة الروحية " في قوله " أن التفكير المبكر السابق لأوانه الذي يقوم به العقل على ذاته يثبطه عن التقدم في حين أن التقدم الخالص البسيط يقربنا من الهدف ويرينا فوق ذلك أن العقبات التي أشير إليها هي في معظمها مفاعيل سرابية "[1] .

- ✓ يعتقد برغسون أن الكشف عن المطلق لا يكون من خلال العقل ، لذلك فالمسلك الوحيد لبلوغ الحقيقة من خلال الحدس .

والحدس تجربة باطنية تفعل فيه الذات دورا مهما ،وهذا ما يوضحه برغسون من خلال التعاطف الذي تضعه الذات مع الحياة ،فيبرز دور الحرية من أجل تكريس القيم الإنسانية وعليه فدور الحدس عند برغسون يتضح في النقاط الآتية :

- التوفيق بين معرفتنا الماضية والحاضرة لبناء مستقبل أفضل .
- التمييز بين الواقعي وغير الواقعي عن طريق التفريق بين الحي وغير الحي بين العضوي واللاعضوي .
- التحرر من الأوهام ومغالطات العقل التصوري .
- المحافظة على خصوصية الشيء المدروس ومعناه دراسة العلوم المعيارية بطابعها الخاص بها ، والذي يأخذ سمة الكيفي من المعنوي.
- التوفيق بين ما هو كائن وما سيكون .

الكشف عن المطلق والخلق والإبداع [2] .

- ✓ يعتبر برغسون الحدس تجربة نفسية باطنية تمكننا من الولوج إلى قلب الأشياء كما أن الحدس إلى جانب أنه طريق إلى المعرفة فهو يكشف عن المطلق.

يذهب برغسون إلى أن العقل عاجز عن فهم الحياة ، ففي رأيه فان الهندسة والمنطق هما النموذجان للعقل، يمكن تطبيقها على الأجسام الصلبة ، ولكن فيما عدا هذا يلزم للإدراك السليم ان يراجع الاستدلال، والادراك القيم لما يقول برغسون "هو شئ مختلف للغاية ،

---

[1]- هنري برغسون ،الطاقة الروحية ، مرجع سابق ،ص6.
[2]- نورة بوحناش ،مرجع سابق ،ص123.

فيلوح أن الأجسام الصلبة هي شيء ما أبدعه الذهن بغرض تطبيق العقل عليها ، مثلما أبدع طاولات الشطرنج ليلعب الشطرنج عليها ، وقد قيل لنا أن أصل العقل وأصل الموضوعات المادية متلازمان ، وقد تطور كلاهما بتكيف متبادل فلابد أن عملية واحدة خرطت المادة والعقل في نفس الوقت من خامة كانت تحتوي كليهما "[1] .

- ✓ في اعتقاد برغسون العقل قاصر على بلوغ الحقيقة وفهم الحياة ، كما إعتبر كل من العقل والمادة متزامنين .

ويعتقد برغسون أن هذا التطور لنمو متزامن للمادة والعقل هو تصور بارع ويستحق أن يفهم، ويعتبر العقل قوة رؤية الأشياء منفصلة بعضها عن البعض ، والمادة هي ما هو مقسم إلى أشياء متميزة، وفي الواقع ليس هنالك شيء يصير إليه هذا اللاشيء، ولكن الضرورة قد تكون حركة إلى أعلى أو حركة إلى أسفل وحين تكون حركة إلى أعلى تسمى حياة ، وحين تكون حركة إلى أسفل تكون ما يخطأ فهمه العقل وهوما يدعي المادة .

يقول برغسون "يسلك العقل دائما وكأنما قد فتنه تأمل داخل المادة القاصرة ، إنها الحياة تتطلع إلى الخارج ، واضحة ذاتها خارج ذاتها ،متخذة طرائق الطبيعة غير المنظمة من حيث المبدأ لكي توجهها بالفعل "[2] .

- ✓ في اعتقاد برغسون أن العقل يخطأ في فهم الأشياء ومارد ذلك إلى أنه يرى الأشياء منفصلة عن بعضها البعض، كما أن المادة تقوم على القسمة والتجزئة.

وتمثل برغسون الحياة بالسكة الحديدية ،وهذه السكة معلقة واسعة الأرجاء والحياة فيها هي القطار الصاعد والمادة هي القطار الهابط ، ويتألف العقل من مشاهدة القطار الهابط حين يتخطى القطار الصاعد ،الذي يكون فيه وواضح أن الغريزة أو الحدس هو الملكة الأسمى التي تركز انتباهها على قطارنا ، وممكن القفز من قطار إلى آخر ويحدث هذا عندما نصبح ضحايا عادة آلية وهذا هو أساس العضو الهزلي ،ولا غرو ففي مقدورنا أن نقسم أنفسنا إلى أجزاء ، جزء صاعد وجزء هابط ، ولا شك أن الهابط هو العنصر الهزلي ، بيد أن العقل ليس هو ذاته حركة هابطة ، فهو لا يعدو كونه ملاحظة للحركة الهابطة بواسطة الحركة الصاعدة [3] .

---

[1]- برتراند راسل ،تاريخ الفلسفة الغربية ،تر :محمد فتحي الشنيطي ،المصرية العامة للكتاب ،القاهرة ،مصر د .ط ،1988 ،ص441.

[2]- المرجع نفسه ،ص442.

[3]- المرجع نفسه ،ص442 ،443 .

- ✓ دائما يقيم برغسون فصلا بين العقل والحدس ، ويعتقد أن هذا الأخير هو أساس فهم الحياة والعالم الداخلي والعالم الخارجي .

كما يعتقد برغسون أن العقل مرتبط بالمكان ، أما الغزيرة أوالحدس مرتبط بالزمان ، بمعنى أن برغسون يعتبر الزمان والمكان متباين تباينا عميقا ، فالمكان هو الصفة المميزة للمادة ، والزمان هو الصفة المميزة الجوهرية للحياةأو الذهن يقول برغسون "حيث ما كان شيء ما يحيا ، فثمة سجل مفتوح في مكان ما يتفشى فيه الزمان" [1] .

- ✓ ربط برغسون العقل بالمكان ، والحدس بالزمان مما جعله يفصل بينهما فصل كليا فالمكان صفة المادة والزمان صفة الحياة .

وميزة الحدس الجوهرية هي أنه لا يقسم العالم إلى أشياء منفصلة كما يفعل العقل كما أن الحدس يعرف على أنه تركيبي وليس تحليلي فهو يدرك عددا وافرا ،ولكن هذا العدد وافر من عمليات متداخلة من أجسام خارجية تقع على المكان ، وفي الحقيقة ليس هناك أشياء" فالأشياء و حالات هي مشاهد فقط للصرورة يأخذ بها ذهننا فليس ثمة أشياء بل أفعال فقط " هذا المشهد للعالم الذي يظهر العقل صعبا وغير طبيعي ، وهو سهل وطبيعي بالنسبة للحدس[2] .

- ✓ إذن في اعتقاد برغسون أن الحدس لا يعمل على تقسيم العالم وتجزئته كما هو الشأن مع العقل ،فالحدس يدرك الأشياء دفعة واحدة بعيدة عن التقسيم والتجزئة .

---

[1]- برتراند راسل ،المرجع السابق، الصفحة نفسها.

[2]- المرجع نفسه ، ص447.

الفصل الثاني: ماهية الطاقة الروحية

المبحث الأول: ظروف نشأة فلسفة الديمومة عند برغسون

المبحث الثاني: الزمان والديمومة

المبحث الثالث: فلسفة الروح وعلاقتها بالقيم الاخلاقية

المبحث الرابع: فلسفة الروح وعلاقتها بالدين

المبحث الأول: ظروف نشأة فلسفة الديمومة عند برغسون

لا يمكن الحديث عن فلسفة برغسون الروحية خارج ما يسمى بفكرة " الديمومة" التي تعبر بصدق عن حرية إنسانية وتجربة ذاتية محضة يعانيها كل واحد منا.

حدد برغسون للديمومة وظيفتين: الأولى تشكيكيه نقدية بينت محدودية العقل المؤسسة لشرط الحداثة ،وبينت الطابع السلبي لمنهج العلم الذي يعمد إلى اختزال الواقع مما حذا به إلى تشويه الموضوعات التي عمل على دراستها [1] .

- ✓ يعني تسليم برغسون بهشاشة الفلسفات العقلانية والثورة على العلم.

أما الوظيفة الثانية، فهي بنائية مكنت من تأسيس حقل إبستمولوجي يستعصى على العلم، و ممكن لحضور مميز لا يفقهه العقل، و بهذا التأسيس نهجت منهجا مغايرا لعقلانية العلم التي تفترض الإجرائية و الموضوعية و الشمولية، ثم ناهضت الواقع، هذا الواقع المناهض سار إلى توطيد دعائم انطولوجيا تتجه إلى الأخلاقية و الروحانية المغايرة لجمود الذات التي يدرسها العلم[2] .

- ✓ يؤكد برغسون دائما على الفصل بين مجالين العلم و الفلسفة و هذا ما يفسر اعتماده الحدس الذي يعتبر بمثابة القوة التي نعرف بها الزمان الحقيقي أو الديمومة.

فبرغسون يميز بين الزمان الفيزيائي و الزمن المباشر الذي يصفه بالديمومة ، أما الديمومة الخالصة فهي بمثابة الذات التي تغوص في أعماقها السحيقة لتستشعر كل تجليات حياتها الخاصة[3] .

- ✓ يعتقد برغسون أن هناك أزمنة مادية و حسية تدرك عن طريق العقل، و هناك أزمنة شعورية و باطنية، و ذوقية كما في عالم التصوف لا يمكن إدراكها إلا بالتجارب الحدسية و الروحية"

" فحياتنا الداخلية تدفق أو ديمومة لا تتوقف متغيرة باستمرار ممتدة باستمرار، يسير فيها الماضي بواسطة الحاضر الذي ينطلق إلى مستقبل غير محدد و يمكن أن نفهم هذه

---

[1]- نورة بوحناش ،مرجع سابق ،ص13.
[2]- المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .
[3]- المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

الحقيقة بصورة حدسية، أن حدسنا بالإرادة الحرة له ما يبرره و المستقبل مفتوح أمامنا و تقرر ذاتنا الكلية ما تفعله و بهذا المعنى تكون إرادتنا حرة"[1] .

- ✓ إذن الديمومة زمنية شعورية باطنية ووجدانية تدرك بالحدس فقط ،ولا تدرك بالعقل و التجربة، و عليه فبرغسون يعتقد أن الديمومة تطلق على الزمن الشعوري و هذا الزمن الحقيقي مقارنة بالأزمنة الأخرى.

و يفصل برغسون بين المكان والحياة ، و يتساءل: ما هو إذن هذا الزمان الذي ليس له حركة؟ و يجيب أن الحركة حياة، والحياة تغير والتغير ديمومة، و الديمومة زمان، فصفات الحركة هي بعينها صفات الزمان الرئيسية، فالزمان و المكان حسبه شيئان مختلفان اختلافا كليا و يعد الطابع الحركي للزمان هو الذي يميزه عن المكان ،ويجدر الإشارة إلى فلاسفة اليونان و أرسطو بوجه خاص عندما فصل بين الزمان و الحركة، من حيث أن الحركة خاصية المتحرك غير منفكة عنه، أما الزمان فمشترك بين الحركات جميعا[2] .

كما أن أرسطو يطبق على الزمان ما يطبق على المكان، إذ هو يقرر أن المتقدم و المتأخر يقالان بالإضافة إلى الزمان والمكان "فإننا نعرف الزمان و المكان حين تحدد الحركة بتقسيمها إلى متقدم و متأخر و نقول أن زماننا قد مر حينما نشعر بوجود متقدم و متأخر في الحركة"[3] .

- ✓ إذن أرسطو يفرق بين (وحدة) قياس الحركة التي ندرك الزمن بها و ليس هو حركة فيزيائية صرفة يمكننا رصدها و تعيينها و معرفتها منفردة من غير تعلقها بحركة الأجسام مكانيا.

و تعتبر الفيزياء الحديثة، خاصة فيزياء أنشطاين قريبة من نظرية أرسطو حيث جعلت الزمان و المكان كميتين من نوع واحد، فلم يعد الزمان أكثر من أن يكون بعدا رابعا يضاف إلى الأبعاد المكانية الثلاثة ،و برغسون من خلال مؤلفه "الديمومة و المعية" ينتقد فكرة الزمان في نظرية أنشطاين ، فهذه النظرية تعتبر الزمان نسبيا يرتبط بحركة الشخص و سرعته والمعية بالنسبة إلى شخص آخر معين لا تعتبر معية بالنسبة إلى شخص آخر يتحرك بسرعة مختلفة عن سرعة الأول ، و يرد برغسون قائلا: " أن نسبية المعية ليست كذلك من الناحية الفلسفية أي من ناحية زمان حقيقي وواقعي ذلك أننا لو

---

[1]- وليم كلي رايت ، مرجع سابق ص542.

[2]- مراد وهبة ، المذهب في فلسفة برغسون ، دار وهدان للطباعة والنشر ، مصر ، ط2 ،1978 ،ص79 ،80.

[3]- المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

سألنا ملاحظا واقفا في الطريق و ملاحظا واقفا في القطار عن الزمان الذي عاشه كل منهما لوجدنا أنه زمان واحد وأن المعية عند كليهما، وهكذا ينكر برغسون معية اللحظتين ويقرر معية التيارين النفسيين"[1] .

- ✓ إذن فالزمن شديد الارتباط بالديمومة والديمومة صيرورة زمنية عرفانية داخلية باطنية عميقة.

لقد حادت الفلسفات المادية عن تفسير الزمان تفسيرا حقيقيا حيث نجدها تفسر تركيب الأجسام بالتفسير الذري في الكيمياء الذي يؤكد على وجود حركات في الجزئيات ،أما في ميدان الطبيعيات فهي تذهب إلى القول بأن الصوت و الحرارة و النور تمثل اهتزازات و تموجات يستطيع الإنسان قياسها و إحصائها ، و من ثم تصورها بطريقة آلية ميكانيكية وهي العملية التي تزعمها كل من هربرت سبنسر وهيوليت والتي تذهب القول بأن الإحساسات الإنسانية تمثل وحدات إحساسية إذا ما انضمت إلى بعضها إلى البعض كونت مختلف الإحساسات النوعية[2] .

[1]- أندري كريستون ،برغسون ، حياته ، فلسفته ،تر :نبيه صقر ،منشورات عويدات ،القاهرة ، مصر ،ط.1 ،د. ت ،ص 19 ،20.

[2]- المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

المبحث الثاني: علاقة الديمومة بالزمان

لقد فسر برغسون الديمومة على أساس الزمان تفسيرا وجدانيا يتجاوز العقل، وهي العملية التي تبناها الفيلسوف المعاصر ألكسندر صمويل حيث ذهب إلى القول بان الزمن الحقيقي هو الذي يقبل الحساب الرياضي والتقطع الهندسي ،فالكثرة الكمية عنده تقوم على التجاور voisinage أما الكثرة الكيفية فإنها تقوم على التداخل والامتزاج، وهذه الأخيرة هي إحدى سمات الزمان وهي تكشف عن تتابع كيفي، وتواصل زماني فينا يؤدي إلى اتجاه واحد [1] .

- ✓ إذن نفهم من هذا أن برغسون لا يتفق مع ألكسندر صمويل الذي عد الزمن الحقيقي هو الزمن الرياضي فبرغسون يعتقد العكس الزمن الحقيقي يكمن في الروح لا المادة.

كما نجد شوبنهاور يتفق مع برغسون حول التفسير الزماني للشعور أو الديمومة فشوبنهاور يؤكد على عجز العقل في إدراك الروح أو الباطن، ومن ثم دعا إلى ضرورة الاقتداء بالرؤية من أجل الكشف عن الوجدان الذي هو مبدأ الخلق ومنبع للتقدم والعبقرية[2] .

- ✓ إذن التفسير الزمّاني للديمومة يكشف عن تلك الخصائص التي تمتاز بها الحياة الإنسانية والتي تتمثل في السيلان والفيض وارتباط الحظات الوجودية ببعضها والتي تتجاوز كلها حدود المكان.

فالديمومة بهذا المعنى هي تعبير حقيقي عما يكنّه وجداننا من عواطف وانفعالات وأحاسيس تؤسس من خلالها حياتنا الوجدانية ، لذا لا يمكن أن نعرفها عن طريق الاستدلال، لأن الحياة الباطنية تمثل واقعة مباشرة لا نصل إليها بواسطة العقل، بل ندركها عن طريق الرؤية أو الحدس، وعليه نلاحظ أن برغسون أراد إقامة علم ميتافيزيقي قوامه أن علم النفس هو الجدير بأن يعرف ويرى حياتنا النفسية التي تمثل الوجود الحقيقي " فاليأس والحزن والفرح وغيرها من المشاعر تمثل كيفا محضا ودرجات الشدة ليست إلا تغيرات كيفية"[3] .

- ✓ نفهم من هذا أن الديمومة تعبر عن زمن ديناميكي أساسه الحركة والتغير .

---

[1]- زكريا ابراهيم ،دراسات في الفلسفة المعاصرة ،دار مصر للطباعة ،القاهرة ، مصر، د.ط ، د. ت ، ص15.
[2]- فؤاد كامل ، الفرد في فلسفة شوبنهاور ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،القاهرة ، مصر ، د. ط ،1991 ،ص11 .
[3]- حبيب الشاروني ،أزمنة الحرب بين برغسون و سارتر ،دار المعارف ،القاهرة ، مصر، د.ط ،1963 ، ص 17 ،18.

كما يقدم برغسون مثال يحلل فيه سبب مغالطة خلط الزمان بالمكان لو حركت ذراعي من النقطة"A" إلى النقطة "B" فتحريك الذراع فعل بسيط غير قابل للتجزئة، يولد بداخلي شعورا بسيطا سرعان ما ينضاف إلى بقية مشاعري، ولكن مشاهدتي لحركة الذراع يجعلني أركز فقط على المسافة الامتدادية التي قطعها الذراع من النقطة "A"إلى النقطة "B" فيخيّل إليّ إمكانية تفسير الحركة إلى أقسام بافتراض نقاط وسطى" C" حيث "C" هي نقطة "A" و"B"وذلك بافتراض إمكانية التوقف في هذه النقطة، ولكن في هذه الحالة نجد أنفسنا بصدد حركتين حركة بسيطة نشعر بها تبدأ من Aوتنتهي عند C"وحركة بسيطة تبدأ من « Bوتنتهي عند Cوهكذا كلما نجزئ، تتكاثر الحركات، لأن الحركة فعل بسيط يتم دفعة واحدة[1] .

- ✓ ومن هنا نجد أن الديمومة غير قابلة للانقسام وكثرتها هي كثرة كيفية، كما يميز برغسون بين الزمان بصفته خاصية العالم النفسي الداخلي والمكان بصفته خاصية العالم المادي الخارجي.

يعتقد برغسون أن المدة الحقيقية ليست هي الزمان الذي يدفعه المكان والمجتمع بطابعهما، ذلك الزمان الذي نقرأه في المكان حين ننظر إلى ساعات أيدينا وساعات الحائط، بل هو بالأحرى زمان الصبر ونفاذ الصبر، زمان الندم والأمل ... زمان المشاعر التي تتعاقب في أعماقنا دون أن نستطيع أن نقول أحيانا متى ينتهي أحدها ويبدأ الآخر فهو ذلك اللاتجانس الكيفي، الذي لا علاقة له بالعدد، وإذا كان الأمر على هذا النحو فإننا لا نتخلص فقط من الفيزياء النفسية التي تحاول قياس حالات الوعي[2] .

- ✓ نفهم من خلال هذا أن الديمومة لا ترتبط بالزمن الآلي الذي يقبل القسمة بل هي الوعي أو الشعور الذي يلازم حياة الروح في عالمها الداخلي.

كما أشار برغسون إلى فكرة التخلص من الفيزياء النفسية التي تحاول قياس حالات الوعي، إذ أن" الشدة" هي نفسها مقياس، والمقياس لا يمكن تطبيقه هنا بصعوبة لذلك علينا أن نتخلص من الحتمية ،إذ أنه لما كان " الأنا" في كل لحظة وحدة واندماجا في جوهره، فإن الحتمية تميز وتحصي دوافع تعتقد أنها قادرة على عزلها من تيار" الأنا"، و على حين أن كل لحظة تتحدد باللحظة السابقة اتحادا عميقا فإن الحتمية تقول إنها محددة باللحظة السابقة كل إنها هي و السابقة شيء واحد، وهما معا الأنا بأكمله الذي لا

---

[1]- Henri Bergson , la pénsee et le mouvant ,paris , op . cit , p237.

[2]- فؤاد كامل ، الفرد في فلسفة شوبنهاور ،مرجع سابق ،ص131.

ينقسم إلى لحظات منفصلة، و لا ينقسم إلى دوافع منفصلة، بل يجري كما يجري النهر و ينضج كما تنضج الثمرة، و يسري كما يجري اللحن [1] .

- ✓ فالزمن الحقيقي لا يقبل التنبؤ، لأن وحداته لا تعرف التجانس وحالاته متداخلة، أي أن كل حالة من الحالات تنفذ في باطن الأخرى، و بالتالي فكل لحظة حاضرة ليست تكرارا، كما يتصور الفيزيائيون بل هي إبداع و تجدد.

إن السبب الذي دفع برغسون إلى مناقشة فكرة الزمان هو أنها كامنة في الفلسفة والرياضيات، إذ أن الكثير من الفلاسفة تصور والزمان على نمط المكان (سبنسر إيمانويل كانط) وهو ما أكده بقوله" أدركت أن الزمان في فلسفة سبنسر عديم الجدوى ولا يفعل شيئا، وما لا يفعل شيئا، هو والعدم سيان، ومع ذلك فقد قلت لنفسي إن الزمان شيء ما، وهو إذن ذو فاعلية، وماذا يستطيع أن يفعل؟ إن البداهة تجيب على ذلك: بأن الزمان من شأنه أن يقف حائلا دون تحقيق الكل دفعة واحدة أليس هذا دليلا على أن اللا تعين هو من طبيعة الأشياء؟ ألا يحق القول بأن الزمان هو اللا تعين بذاته؟[2] .

- ✓ ومعنى هذا أن الزمان الحقيقي هو عكس ما قال به "سبنسر"فهو زمن كيفي غير قابل للتصنيف أو القياس.

إذ الحقيقة في علم النفس ليست تصورا آليا والديمومة كيف محض وليست مركبة من أجزاء متجانسة قابلة لأن تتطابق كما أنه ليس في علم النفس خلق من لا شيء مقطوع الصلة بالماضي وهذا ما يؤكده برغسون في قوله" إن الديمومة الخالصة يمكنها أن تكون سوى تتابع لتغيرات كيفية تتمازج وتتداخل من دون حدود واضحة من دون أي نزوع لأن تكشف كل واحدة عما بداخلها للأخرى ومن دون أي قرابة مع العدد قد يكون ذلك هو اللاتجانس الخالص[3] .

- ✓ وهذا يعني أن الحياة النفسية الداخلية تختلف تماما عن المادة فهي حالات كيفية متداخلة غير قابلة للقياس كما أنها مترابطة بين الماضي والحاضر، عكس المادة التي هي قابلة للقياس مركبة، كما أن الأفعال الصادرة عن النفس هي في حالة تناسق دائم فهي صادرة عن أنا واعية أساسها الشعور الدائم الذي لا ينقطع أبدا.

---

[1]- فؤاد كامل ، الفرد في فلسفة شوبنهاور ،المرجع سابق ،ص ،113.

[2]- مراد وهبة ،مرجع سابق ،ص 78.

[3]- هنري برغسون ،بحث في المعطيات المباشرة للوعي ،مصدر سابق ،ص 104.

المبحث الثالث : فلسفة الروح وعلاقتها بالقيم الأخلاقية.

يعد كتاب " منبعا الخلاق والدين" من المؤلفات المهمة التي ناقش فيها برغسون مسألة الأخلاق ولا شك أنها ربطها بمنهجه الحدسي.

والعملية الخلقية صورة باعثة عن الأخلاق، ومن المفاهيم المركزية التي يتبلور حولها مفهوم الخلق كقيمة ديمومة " مفهوم النداء" حيث تكون الخبرة الآنية منبعا أصيلا للأخلاق ومنطلقا فياضا للقيم الجديدة ينفتح المجتمع بفضلها، وهنا تكون الهزة التغييرية، إذ يقول برغسون يصف إياها في كتابه " منبعا الأخلاق والدين": " الهزة إنما يحدثها فرد، ومن العبث القول بأن هذه الوثبة لا نفترض من ورائها أي جهد خالق"[1] .

- ✓ إذن فلسفة الأخلاق البرغسونية هي استمرار تغيير واحتفاظ بالماضي والحاضر وديمومة الحقيقة التي تجعل من الحياة اختراع على غرار النشاط الشعوري.

ويحصل الانجذاب في الأخلاق، حيث ينجذب المجتمع بمنحنى التجربة الباطنية لكل فرد من أفراد المجتمع، لذلك فإن الوثبة من المغلق إلى المفتوح وثبة نحو الأمام ولا يسعها التحقق إلا إذا عزم المجتمع على أن يعاني تجربة ويقتنع بها هذه القفزة البرغسونية إنما هي في حقيقة الأمر بحث عن مفهوم الله، و تكون العملية الأخلاقية إبداعا مستمرا و يستنجد بالطاقة الروحية الصاعدة لا المصدر الحقيقي للقيم الخلقية و يتأكد ذلك أكثر حين يكون المسيح أعظم هذه الشخصيات الأخلاقية و أفضل من مثل المبدأ الأعلى للأخلاق ينصهر معها الزمني بالروحاني بفضل الحدس والعاطفة الخلاقة المحايثة له فيتمكن الإنسان الصانع أن يكون فعالا في مجتمع مفتوح[2] .

- ✓ ومعنى هذا أن برغسون يبشرنا بنموذج مغاير للقيمة الأخلاقية المفتوحة التي يجبلها الانجذاب معتبرا إياه أخلاقا حقيقية، لأنها تنضح بالعاطفة الفياضة الخلاقة، فالأخلاق المفتوحة هي نداء الحياة الخاضعة للصيرورة إنها أخلاق دائمة الإنصات للنداء الذي يصدره الفرد .

إذن فالأخلاق حسب برغسون تنقسم إلى نوعين أخلاق مغلقة و أخلاق مفتوحة:

- **الأخلاق المغلقة**: وهي أخلاق شبيهة أخلاق المجتمع عند الفيلسوف الفرنسي إيميل دوركايم والانكساروالهون عند نيتشة وهذه الأخلاق ضعيفة تأخذ طابع القهر و الإلزام، حبيسة الذات و الواجب فهي عبارة عن أوامر و الزامات أخلاقية تأخذ طابع الخضوع و مصدرها قفل الحياة، ومنبعها الإلزام الذي يفرضه

---

[1]- هنري برغسون ، الطاقة الروحية ،مصدر سابق ، ص 32.

[2] - المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

المجتمع وتتسم هذه القيم بالثبات غير قابلة للتغيير عرضها تحقيق انسجام الفرد مع مجتمعه وهي وليدة العقل أخلاق ثبات، وتنعدم فيها الحرية، فهي بذلك أخلاق تقليد وإتباع وعرف أخلاق مادية، وهي حسب إيميل دوركايم عبارة عن أخلاق تمثل الواجب، و قد عبر برغسون عن ذلك بوضوح في قوله" إما أن نصف الأخلاق بأنها واجبات يفسر الإلزام فيها بضغط المجتمع على الفرد، فهذا ما يوافق عليه في غير مشقة كبيرة لأننا نعاني هذه الواجبات في الحياة، و قد صيغت في أوامر واضحة جلية فمن السهل أن ندركها في جزئها المرئي[1] .

- ✓ ومعنى هذا أن الأخلاق المغلقة البرغسونية تتأثر بالمجتمع وثقافاته وعاداته والذات تكون خاضعة لهذه الإلزامات والأوامر وبالتالي فحرية الفرد تذوب في النّحن.

والواجب عند برغسون يقوم على نقد الواجب الكانطي الذي يؤسس على الحجج المنطقية والعقلية، فالعقل فردي في نزعاته فهو يجعلنا في حيرة وتردد في القيام بالواجب لأن ما يضفي على الواجب وقيمته.

وأهميته ليس محتواه الصوري ،بل الإكراه الممارس من قبل المجتمع الذي يحول الواجب إلى التزامات أخلاقية لكن دون أن يعني ذلك التوقع داخل أخلاق المجتمع المنغلقة بل لابد من الانفتاح على الواجبات الكونية لأن التركيز على الكونية من شأنها أن يساهم في توطيد العلاقات السلمية بين الأفراد والمجتمع.[2]

- ✓ إذا كانت أخلاق دوركايم أخلاق إلزام وقهر ورقابة وأخلاق كانط أخلاق واجب الذي يمليه العقل فإن أخلاق برغسون أخلاق انفتاح على الإنسانية.

- **الأخلاق المفتوحة**: تتعارض هذه الأخيرة مع الأخلاق المغلقة فالأخلاق المغلقة عبارة عن إلزام قاهرة منبعها الانجذاب تثبت مبادئها بواسطة مثال حي هي سيرة فرد يمثل أرقى صورة للتطور الروحاني خاصيتها الإبداع ومن ثم الحركة ،قيم الأخلاق المفتوحة متطورة تتلاءم مع الحياة المبدعة الخلاقة لذلك فجوهرها حب الإنسانية وليدة انفعال عميق أخلاق تقدم أخلاق حرية عاملة على التحرر من كل القيود التي تعيق التطور أخلاق إبداع وتطور وروحانية معنى الانجذاب عن ذاتها بواسطة الحب كما تتعلق بالحالات النفسية لذلك قيل حب الأسرة ،حبالوطن ،حب الإنسانية .[3]

---

[1]- هنري برغسون ،منبعا الاخلاق و الدين ، تر:سامي الدروبي ،عبد الله عبد الدايم ،الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ،مصر، د .ط ،1971 ،ص 56 .

[2]- المصدر نفسه ،ص29

[3] - المصدر نفسه،ص 45 .

- ✓ معنى هذا أن الأخلاق المفتوحة لم تتبقى أسيرة الإلزام والقوانين والعرف والسائد كما هو في الأخلاق المغلقة التي كبلت الإنسان وجعلته أسير وحبيس المجتمع.

والأخلاق المتفتحة إنما يحصل فيها الانجذاب حيث ينجذب المجتمع لمنحنى التجربة الباطنية لكل فرد من أفراد المجتمع وهنا تعتبر الوثبة من المنغلق إلى المفتوح وثبة نحو الأمام وهذه القفزة البرغسونية في الأساس هي بحث عن مفهوم الله وهذا داخل نسق صوفي كما أن الفلسفة الرواقية تحمل في طياتها التجربة الصوفية مثلها مثل البرغسونية وهذا يتضح من خلال الوثبة الحية ،فالوثبة الحية إنما هي "دعوة أولى للبحث عن مفهوم الإله في فلسفة برغسون " .[1]

- ✓ معنى هذا أن برغسون يتفق مع الرواقية في أن العالم تتخلله قوة الله الفعالة وإذا كانت الرواقية تدعو إلى العيش في وفاق مع الطبيعة و الأخذ بالفضيلة والفضيلة هي إرادة الله ونجد جذور الفلسفة الرواقية في الفكر البرغسوني وهذا من خلال فكرة التصوف .

إذ يريد برغسون من خلال تقسيمه إلى الأخلاق المغلقة والأخلاق المفتوحة أن يوضح أن الأخلاق المغلقة تأتي عن إلزام ودفع من الخلق بعكس الثانية التي تأتي عن تطلع و انجذاب من الأمام إلى الأخلاق المفتوحة .
ولا شك أن برغسون هو الآخر عمد إلى إثارة الجانب السوسيولوجي وهذا ما يدفعنا إلى استحضار كتابات عالم الاجتماع ايميل دوركايم لأنه عمد إلى ضوابط ايتيقية سوسيولوجية صارمة تحتكم إليها النواميس السوسيولوجية وفسر الظاهرة الاجتماعية بمنأى عن السلوك الفردي الذاتوي لذلك يكون مفهوم القسر والقهر ملازما للظاهرة الاجتماعية ودليلها المواضعاتي الدقيق على وجود هذا القسر، ويستشهد دوركايم على حقيقة القسر بضبط القواعد السوسيولوجية وإلزامها بالقواعد الإيتيقية فشعور "اللحمة الاجتماعية" مثلا يكون بمثابة الحيلولة دون أن يقتدر أي تصرف فردي يسعى إلى مهاجمة هذه القواعد الضبطية الاجتماعية بحكم أن "شعور الجماعة" يعتمد على رقابة صارمة تسلط على الأشخاص داخل المجتمع ويستعان لإلحاقها ببعض الزواجر والعقوبات التي تكون السلطة الاجتماعية حرة في تصرفها .[2]

---

[1] - نورة بوحناش ،مرجع سابق ،ص168.

[2] - ايميل دوركايم ،قواعد المنهج في علم الاجتماع ، تر : محمود قاسم ،دار المعرفة الجامعية ،الإسكندرية ،مصر ،ط2،1988 ،ص 52.

- ✓ ومعنى هذا أن دوركايم يعتقد أن الفعل الأخلاقي يجب أن يرتبط بغايات تحددها مصالح الذات الجمعية ولا تحددها مصالح الذات الفردية فالفعل الأخلاقي هو حقا ذلك الذي يهدف إلى غايات غير ذاتية غير أن الغايات غير الذاتية لا يمكن أن تكون غايات الفرد غير الفاعل أو عدد من الأفراد غيره .

المبحث الرابع: فلسفة الروح وعلاقتها بالدين.

يعتبر برغسون من أهم الفلاسفة الذين أعادوا الاعتبار للقضايا الروحية والأخلاقية والدينية وذلك من خلال بسطه لرأيه في الدين و الأخلاق ودورهما في الحياة الأساسية ومستقبلها .

إن فلسفة برغسون تعتبر بديل لتلك التوجهات الفلسفية المثقلة بالمادية المقيدة بالحدود التي رسمها العقل المتطفلة على العلم محاولة الظفر بما حققه وهذا من خلال تعميم منهجه ونتائجه حتى على الموضوعات الكيفية التي تبتعد عن القياس و التكميم ،فصاغ برغسون فلسفته بصفة عامة وفلسفته حول الدين بصفة خاصة انطلاقا من جملة من المفاهيم تعتبر جوهرية لا يفهم المشروع البرغسوني في غيابها ويفقد معناه وقد وردت هذه الأخيرة في شكل منظومة مفاهيم تجمع في بوتقة واحدة بين الفكر و الواقع الديناميكي وتمثل في الدفعة الحيوية أو الوثبة الحيوية ،الحدس والذي يعتبر المنهج الذي تجاوز من خلاله الحدود التي رسمها العقل والعلم إذ يعتبر الحدس "أن الحدس وحده ملك متوج على عرش المعرفة الإنسانية ،يملك القدرة ويملك الوجود والحياة "[1]

- ✓ ومعنى هذا لا يمكن الحديث عن مسألة الدين عند برغسون بمنأى عن المفاهيم المؤسسة لفلسفة برغسون الروحية لأن الديمومة والحدس تمتد جذوره حتى في الأخلاق والدين .

يوثق برغسون الصلة بين الأخلاق والدين ويعتقد أن نداءهما واحد في الغايات والأهداف ففي صورة المسيح تنكشف الأخلاق المفتوحة التي تفيض على الإنسانية حبا وكذلك الأمر بالنسبة إلى الدين إذ يصعب الفصل بينهما فالدين الذي يحثنا على أن نسلكه في حياتنا هو ذلك الذي يتعلق بالإله الأعظم ويتحد به فتنكشف معه حجب الإشراق وتضيء بفضله النفوس الممتازة وتجبلها أفياض الحرارة ويغمرها الوجد بطيب غمراته [2].

- ✓ نفهم من هذا أن برغسون يذهب إلى أن غاية كل من الأخلاق والدين غاية سامية وهي حب الإنسانية والتعلق بالإله، والتوجه نحو المطلق لضمان صفاء النفس وطهارتها ، ومن هنا يبدوا جليا مدى احترام وتمسك برغسون بالجانب الروحي والديني .

[1]- مجاهد عبد المنعم مجاهد ،مرجع سابق ،ص 129.
[2] - هنري برغسون ،منبعا الأخلاق و الدين ،مصدر سابق ،ص 239.

ولا يمكن للإنسان أن يتعلق بالإله وينجذب نحوه وتفيض عليه القيم قبضا إلا بعد أن ينأى بنفسه عن الطبيعة التي جعلته يقبع في دين ستاتيكي (سكوني)ويتعين عليه أن يتملص من العقل ويصعد في ملكوته نحو الاندماج بالله الذي هو الماهية الحقة للدين المتحرك الديناميكي [1].

- ✓ ومعنى هذا أن الدين السكوني دين فيزيقي خاضع للطبيعة في حين المتحرك مفارق للطبيعة .

ويتغلغل برغسون داخل التجربة الصوفية الزهدية وعلاقتها المتينة بالدين الديناميكي باعتباره دين حق لأنهم ينهلون عرفانهم من إله عظيم وتكتشف معه قيما صوفية متفردة في بساطتها وسموها ومحبتها وعطفها على الإنسانية المنفتحة والمنجذبة إلى الدين الحركي فالمتصوف شخصية سامية ، ينجذب نحوها البشر أجمع ويسعون إلى النهل من قبس نوره الذي يتخطى حدود الزمان والمكان بسلوك مجاهدة جوانية وخلق مستمر يسري في ديمومة روحانية صرفة[2] .

- ✓ ومعنى هذا أن برغسون يعتقد أن الدين الحركي يمكن العثور عليه عند المتصوفة المسحيين ،وهذا من خلال احتكاكهم واتصالهم المباشر بالخالق الذي يكمن من وراء الحياة وبالتالي فغاية التصوف حسب برغسون هو الإتحاد بالله .

مما لا شك فيه أن التصوف انبثق في الديانة المسيحية في أبهى صورة وحلة فبرهان برغسون على وجود الله مستمد من الدين برهان الاتحادية والحيلولة التي تشرق في قلب المتصوف يؤكد له حضور الإله في قلب دون برهان عقلي فلسفي إن الدين الساكن دين طقوسي شعائري وجامد في حين أن الدين الديناميكي الحركي يتجدد من كل زمان معيش كروحانية محضة ويتجسد هذا الانفتاح المهيب للدين الحركي في الشخصيات الدينية العظيمة ويعد برغسون هؤلاء المتفوقين العظماء امتيازا نادرا للتفرد والتوحد والعزلة لكن نداء يأتي من السماء بخلاف الأرضي النتشوي ويعرج فيه الإنسان إلى الألوهية بعاطفة جياشة وقوية ومطلقة بما ينم عن المطلق المرادف للكمالية[3].

- ✓ ومعنى هذا أن برغسون يربط الدين الحركي بالتجربة الروحية التي تجد مصدرها في الحدس الصوفي أما غايته فتحدد أساسا في الاتصال بالله لا بالتشبث بالمجتمع كما هو الحال في الدين السكوني .

---

1 - هنري برغسون ،منبعا الاخلاق والدين ،المصدر السابق ،ص239

2 - المصدر نفسه ، ص 232 .

3- المصدر نفسه،ص232.

فالقيم عند برغسون أخلاقية ودينية وليست علامات ضعف بل صورة تعبر عن النزاهة والبطولة وبذلك استطاعت قيم الأخلاق المفتوحة أن تحل معاناة الإنسان المعاصر ومحنته لتتماهى الإنسانية بكليتها في عاطفة الحب والتعاطف دون أي إكراه أو ضغط أ وصايا أو زواجر أو أي إلزام للسلوك الفردي لذلك يعتقد برغسون أن الأنموذج الحي للمحبة يتجلى في المحبة المسيحية المتسامحة التي هي في صميمها دين أخلاقي مفتوح فالمسيح رسول للأخلاق والدين كما نفي برغسون أن يكون للعقل أي قيمة في معرفة الأخلاق لأنه يقع في مطبات الزلل ففكرة الدين المفتوح لا تعترف بحدود عقدية ضيقة تؤمن بها بها طائفة على حساب طائفة أو مذهب ديني أو فرقة معينة أخرى وبالتالي فقد وثب بنا برغسون في نقله نوعية من المنغلق إلى المنفتح حيث مزج كل من الأخلاق والدين ونادى نداءا ننجذب بمنحناه الإنسانية تحت شعار الحرية وتتجاوز الموقف الحداثي الذي يفصل بين الأخلاقي والدين [1].

- ✓ إذن في اعتقاد برغسون فإن المسيحية هي الصورة المثالية التي تعبر عن الأخلاق المفتوحة في أجمل صورها كما أنها تعبر عن الانجذاب نحو الإنسانية وطرق باب الحب والعاطفة فغاية كل من الأخلاق والدين واحدة حسب برغسون.

[1] - هنري برغسون ، منبعا الأخلاق والدين ، المرجع السابق ، ص 24.

الفصل الثالث :الحدس ومنبع الذاتية

المبحث الاول : الجمال كمظهر حدسي

المبحث الثاني :الحدس والفن

المبحث الثالث :الحل الصوفي في فلسفة برغسون

المبحث الأول: الجمال كمظهر حدسي.

إذا كان الجمال حقيقة ذاتية نفسية ذوقية , أي أن خصائص الجمال تكمن في العودة إلى باطن الأشياء, لكي نكشف ما في ذواتنا من جمال مخفي , لأن الإحساس الخارجي للأشياء يعطينا و يوحي لنا بالأشياء السطحية فقط , و بهذا لابد من تدخل الحدس الروحي للفنان الذي يكون حاد البصيرة و الإمعان لكي يكون متتبعا للشيء المبدع عبر الزمن وهنا نجد أن الديمومة هي متتبع للإدراك الجمالي.

لقد لعب التيار الحدسي دورا كبيرا في فلسفة الفن مع برغسون , هذا التيار الذي أخذ به كروتشة و هربرت ريد , و اعتبر هؤلاء الفن نوع من أنواع المعرفة , غير أن هذه المعرفة لا تتعلق بالكليات بل تتناول ماه و جزئي أو فردي , حتى و ان كان لكل منهم مذهبه في الفن , و في تفسير الحدس و علاقته بالخبرة الفنية , إلا أنهم يتفقون في الاحتجاج على النزعة العقلية التي سادت فلسفة القرن 18 بعد الثورة العلمية في ذلك العصر[1] .

- ✓ إذن فبرغسون عد الفن ضرب من أضرب المعرفة لأنه لا يمكن الكشف عن الحقيقة و العالم إلا من خلال هذا الأخير و ذلك من خلال الحدس الذي اعتبره إدراكا خالصا لارتباطه بالأحاسيس و العواطف.

و قد ثار برغسون على العقل ثورة جعلته ينظر إليه على أنه مجرد أداة يتحكم من خلالها الإنسان في البيئة و إلتقى مع الفلاسفة البرغماتيون أمثال جيمس و بيرس, و جون ديوي اللذين ذهبوا إلى معيار الحقيقة ما يترتب على الفكرة من نتائج و يمكن التحقق منها في الواقع العلمي و التجريبي[2] .

- ✓ إذن نفهم من هذا أن برغسون حصر دور العقل في مجال ضيق جدا ،و هو التحكم في البيئة , و يبقى هذا الأخير عاجز كل العجز في الكشف عما هو روحاني نفساني وجداني عميق.

و بهذا فقد فرق برغسون بين العقل الذي بعد أداة للسيطرة من طرف الإنسان على البيئة و الذي يعتمد على الوصف و يركن إلى التصورات العامة التي تساعد الإنسان في السلوك العملي و بين الحدس الذي لا تدرك به سوى حقائق الشعور الباطني و ما شابهها من معرفة لا تهدف إلى العمل و المنفعة, بل تتجه الى ما هو مطلق ولا تصل اليه التصورات العقلية يقول برغسون في هاذا الموضوع: «هناك منهجان يختلفان لمعرفة

---

[1]- أميرة حلمي مطر ، فلسفة الجمال ، أعلامها ومذاهبها ،دار قباء للطباعة والنشر ، القاهرة ، مصر ،د.ط ، 1998،ص189 .

[2]- المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

الأشياء الأول يقضي بأن تدور حولها , أما الثاني فيقضي بأن ننفذ إليها, و يعتمد المنهج الأول على وجهة النظر التي تركن اليها , و على الرموز التي نعبر بهاعن أنفسنا, أما المنهج الآخر فلا يعتمد أي رموز نتناولها , و النوع الأول هو المعرفة التي ندرك بها ما هو نسبي أما الآخر فهو المعرفة التي تصل إلى المطلق» [1] .

- ✓ إذن الكشف عن التجربة الروحية المفعمة بالطاقة الروحية و الحيوية لا تتأت إلا من خلال منهج وحيد و هو الحدس ،و معارف العقل دائما قاصرة لا تبلغ المطلق.

و لقد تحدث برغسون عن الفن وسلط الأضواء على الخبرة الفنية في ثنايا بحثه في الميتافيزيقا مع أنه لم يخصص للفن مؤلفا خاصا , إلا أن له دراسة فريدة تناولت تفسير «الكوميديا» و تحليل ظاهرة الضحك , و خصائص الضحك , و قد عد الكوميديا الفن. الوحيد الذي يتدخل العقل intellect , و يغيب فيه فعل الحدس و هنا يمكن الرجوع الى العبارة القائلة «ان العالم كوميديا لهؤلاء الذين يفكرون و تراجيديا لهؤلاء الذين يحسون» [2] .

- ✓ نفهم من هذا أن برغسون استحضر العقل في مجال الكوميديا فقط و غيبه في مجال الفن و الكشف عن الحقيقة .

وحسب برغسون فان الكوميديا و الضحك لا ينفعان على الفردي بل تقع على النمط الكاسي type . لذلك يمكن اعداد دراسة برغسون عن المضحك خارج نطاق مجال الإستيتيقا لأن دراسة هذا الأخير أقرب الى النقد الإجتماعي ,الذي يحكم العقل و أداة لإصلاح التصلب و الجمود و الإنعزالية التي تصيب الإنسان لذلك يمكن أن نلخص ملاحظات برغسون الأساسية في بحثه عن الضحك في ما يلي :

أولا:الضحك يتعلق بلإنسان , فأي موضوع أو موقف مضحك لابد من وجود علاقة إنسانية معينة حوله .

ثانيا: يقتضي المضحك حالة من اللامبالاة العاطفية أو حالة من التأثر و الانفعال , فمجتمع العقل لا يبكي و انما يضحك أي أن المضحك لا يتجه إلى القلب و إنما يخاطب العقل.

ثالثا: إن الضحك يفترض و جود مجتمع لأنه بحاجة إلى صدى , و ربما هذا ما يفسر ضحك المشاهد في المسرح يكون أشد و أكثر كلما كانت القاعة أكثر امتلاء بالناس , و

---

[1]- أميرة حلمي مطر ،المرجع السابق ،ص 189.

[2]- المرجع نفسه ،ص191.

لا شك أن لهذه الملاحظة أهمية بالنسبة لفلسفة برغسون التي تؤيد الدلالة الاجتماعية لظاهرة الضحك[1] .

- ✓ و يعني هذا أن برغسون يعتقد أن الضحك يرتبط بالجانب الحي في الشخصية أو المجتمع . فقد عد الضحك ظاهرة اجتماعية بامتياز.

و الجدير بالذكر أن كل من الفن ولإبداع مظهران يدلان على تجاوز الذات حدود ما ألفته , كما يدلان عاى قدرة في النفس كما ان الفن في اعتقاد برغسون يمنح للذات رؤية أشياء عجزنا عن رؤيتها في الواقع[2] .

- ✓ إذن الفنان المبدع حسب برغسون هو ذلك الإنسان الذي يضع في أيدينا منتجات خيالية و ابداعية و هذا من خلال عمق الحدس و حدة البصيرة , و دور الفنان هو التأمل و النظر و طمس عالم الواقع ،كما يذهب برغسون الى أن الفنان أثناء لحظات إبداعه يكون شخصا منسجما و ملتحما مع الواقع , كما أنه لا يهتم و لا يبالي بالحياة المادية العملية كما ينصب اهتمامه حول النقاط و الأشياء التي لايعيها و لا يفهمها العامة من الناس[3].
- ✓ و معنى هذا أن الفنان يتجاوز لغة الكم فنظرته نظرة ميتافزيقية تتنافى مع المادية و تتعدى حدود العقل.

[1]- أميرة حلمي مطر ،المرجع السابق ،ص 119.
[2]- زكريا ابراهيم ،فلسفة الفن في الفكر المعاصر،دار الثقافة للنشرو التوزيع، مصر ،د .ط ،د.ت ، ص 16.
[3]- نورة بوحناش ، مرجع سابق ،ص229.

المبحث الثاني: الفن والحدس

إن الحدس الفني أو الإنفعال الإبداعي فهم غامض للأنا و الأشياء معا في معرفة تتم بطريقة التوحيد أو المشاركة الطبيعية التي تثمر و لا يتم التعبير عنها الا في العمل الفني إذ سلمنا بأن الحدس هو نوع من الغموض في فهم الأشياء المراد تفسيرها.

لقد بينت نزعة برغسون الحدسية أن بإمكان الفنان النفاذ الى باطن الحياة , و سبر أغوار الواقع و الكشف عن الحقيقة و بلوغها و هذا ما أكده في كتاب الضحك «أنه لو استطاعت النفس أن تنفصل عن إدراكاتها الحسية , لأصبحت نفسا شفافة قادرة على النفاذ إلى أدق حركات الحياة الباطنة»[1] .

- ✓ و معنى هذا أن جوهر الفصل الفني هو حدس الفنان , فالحدس أشبه بالإلهام الذي يستولي على النفس و يدفعها الى التقلقل الى باطن الحياة.

لذلك عمل برغسون على تبرئة نفس الفنان من التعلق بالإدراك, و ينزهه من التعلق بالعلم , و ما يترتب عليه من جدية وآلية ,و من ثم تنطلق إلى طريق الإدراك و العيان و الحدس.

لذلك يذهب برغسون إلى أن الفن حدس , والإدراك الحدسي للفنان يتمكن عن طريقه من رؤية الواقع , و هو بذلك يحاول الربط بين الفن , و بين نظريته في الحدس الصوفي , و لهذا أصبح الفن رؤية , أو إدراك مباشر , و من ثم فقد حد من دور الفنان و من قدراته على ممارسة موهبته و انطباعه الشخصي , فأصبح الفنان مسلوب الطابع و الجهد أسير للطبيعة [2] .

- ✓ إن أفكار برغسون لا يمكن فهمها و فحصها بمنأى عن منهجه الحدسي , فلا شك أن الحدس تعدى المعرفة ليدخل مجال الفن , و قيمة العمل الفني مرتبطة بمدى حدس الفنان.

إن الإبداع و الخلق في التجربة الباطنية حسب برغسون هي دليل على تلك القدرات التي يتميز بها الفنان عن غيره من عامة الناس , فهو إنسان يستطيع التعبير و الكشف عن التجربة الباطنية ،فالفنان يتخذ الفن كوسيلة لإدراك الزمن ,كما يمكن القول أن هذه الطاقات الإبداعية الروحية ترافق المبدع طيلة مدى ابداعه كما يمكن القول أن الحدس الفني هو أحد مظاهر التجربة الإبداعية فهو يلازم الفنان , و يتوقف حتى تتجلى

---

[1]- راوية عبد المنعم عباس ، فلسفة الجمال ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ،الاسكندرية ،مصر ،ط.1 ، 2013 ، ص203.

[2]- المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

الصورة, و في هذا يقول برغسون «إن العمل العبقري الذي لا يروق للمجتمع في أول الأمر, يستطيع أن يخلق بمجرد وجود نظرة للفن , و جوا فنيا , يساعدان على فهمه ,و عندئذ يصبح عبقريا بنظرة روائية.» [1] .

- ✓ وهذا يعني أن قدرات الفنان مرهونة بمدى فهمه للتجربة الباطنية.

و هنا تجدر الإشارة إلى الطابع المثالي و الصوفي في النظر للفن قد جعل برغسون يقصر نظرة الفنان على مجرد إدراك الواقع فحسب دون أن يكون له دور إيجابي في تغييره أو تعديله ,فالنظرة الفنية إلى الفن ماهي إلا حدس خالص و استغراق في ضرب من المشاهدة الصوفية , التي تبتعد و تتجاوز الواقع[2] .

- ✓ إذن برغسون من خلال منهجه الحدسي و نظرته إلى الحياه التي يكتسبها الطابع الجمالي و الفني ينحو نحو فلسفة صوفية تبتعد عن الواقع الذي أسر الذات في العلم.

و من هنا تصبح المعرفة بالفن ضربا من الملامسة أو مجرد تأمل سلبي للواقع , فالحدس intuition هو جوهر الخبرة الفنية , و من ثم يصبح الجمال مجرد رؤية لا علاقة لها بالواقع أو القول أو الصناعة ,إنما تأمل حدسي صوفي خالص متسم بالسلبية و يغلب عليه الطابع النظري السلبي [3] .

- ✓ من هنا نفهم أن برغسون عد فهم الواقع السلبي لان فهمه يتم من خلال العلم و هاذا الأخير قاصر.

و الجدير بالذكر أن برغسون ناقض أرسطو , حيث أن نزعة برغسون الحدسية قد جعلته يعد الفن بمثابة (عين ميتافيزيقية) فاحصة , و بالتالي فالفنان يستطيع عن طريق الإدراك المباشر أن ينفذ الى باطن الحياة , و أن يسير أغوار الواقع , و أن يزيح النقاب عن الحقيقة التي تكمن وراء ضرورات الحياة العملية في رأي برغسون «ليس سوى الإدراك المباشر و العيان و الحدس, أو كأن ليس من واجب الفنان أن ينتقل من دور التطوع و التأهل و المشاهدة إلى دور الصنعة و الأداء و التحقيق ،فعين الفنان في نظر برغسون تملك تلك المقدرة على العكس من ذلك لا يكاد يظهرنا على وجود أي تطابق حقيقي بين الفنان و موضوعه بل يضعنا في مواجهة فنانين مبدعين في صراع دائم مع المادة »[4] .

---

[1]- هنري برغسون ،منبعا الاخلاق و الدين ،مصدر سابق ، ص 83.

[2]- راوية عبد المنعم عباس ،مرجع سابق ،ص203.

[3]- المرجع نفسه ،الصفحة نفسها .

[4]- سناء خضر، مبادئ فلسفة الفن ،دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر ، الاسكندرية ،مصر ،د.ط ، د .ت ،ص 227 .

- ✓ إذن يمكن للفنان فهم الحياة و بلوغ الحقيقة بعيدا عن النزعة العلمية التي جمدت الحياة و بالتالي فالطريق إلى المعرفة الصوفية لا يتأت من خلال الفن.

و قد تأثر برغسون في نزعته الجمالية بمذهب الفيلسوف الألماني شوبنهاور الذي يرى أن التذوق الفني هو انتقال من الارادة إلى المشاهدة , و من الرغبة إلى التأمل , فكل من شوبنهاور و برغسون يذهبان إلى أن الفن هو حدس يستولي على الذات العارفة حتى بجعلها تتطابق على موضوع معرفتها على نحوشبه صوفي [1] .

- ✓ إذن اتفق كل من شوبنهاور و برغسون في الجانب الروحي الباطني للفن الذي لا يخرج عن حدس الفنان , فالفن عبارة عن تجربة روحية ذاتية.

نجد أن فلسفة برغسون ذات طابع نظري سلبي تقترب من فلسفة شوبنهاور الجمالية التي ترى أن الانفلات من ارادة الحياة لا يكون إلا بالفن الذي عده تأمل حر , و معرفة متحررة و بالتالي حينما تقلب المعرفة على الإدارة كما يرى شوبنهاور «فإن الذات العارفة سرعان ما تجد الجمال , و تراه في كل ما حولها من أشياء ....» و المثال على ذلك ما قام بهم صوروا هولندا عندما صوبوا ادراكهم الموضوعي المحض نحو أتفه الأشياء و أحقر الموضوعات ،فخلقوا لنا من تلك الطبيعة الصامتة التي صوروها لوحات ناطقة تثير إلى الانفعال و في نفس الوقت تولد الإعجاب في النفس [2] .

- ✓ و معنى أن فلسفة برغسون ذات طابع سلبي أن هذا الأخير لا يرى في الحياة حقيقة , و بالتالي علينا التحرر منها و السرح في عالم الجمال و الفن فهو الذي يكشف عن الحقيقة و يجعل الفنان يتعلق بها من خلال الحدس.

---

[1]- سناء خضر ،المرجع السابق ،ص228.

[2]- المرجع نفسه ،ص 228.

المبحث الثالث :الحل الصوفي في فلسفة برغسون

إذا كانت الطاقة الروحية هي أساس فلسفة برغسون لأنه أراد أن يسلط الضوء على البعد الروحي للإنسان كطاقة يجب أن ينبري من أجلها القلم الفلسفي و لاشك أن ذلك لا يتأت إلا من خلال الخوض في التجربة الصوفية التي تمثل جوهر فلسفة برغسون الروحية.

لقد عرف برغسون التصوف كالآتي :«وفي رأينا أن غاية التصوف اتصال بالجهد المبدع الذي ينجلي عن الحياة , و من ثم اتحاد جزئي به , و هاذا الجهد هو شيء من الله , إن لم يكن هو الله ذاته و الصوفي الكبير هو ذلك الذي تخطى الحدود التي رسمتها للنوع البشري ماديته , و يمكن بهذا فعل الله , و ذلك هو تعريفنا للتصوف »[1] .

- ✓ و هذا يعني أن التصوف في مفهوم برغسون هو الاتحاد بالله و تجاوز كل الحدود و العوائق التي تحول دون ذلك.

فالتصوف تجرة نفسية قبل أن يكون في شكل معرفة منظمة , فيمكن إعتبار التصوف خبرة نفسية عميقة تكون قواما لعلاقة مباشرة تقوم بين المتصوف و المبدأ الروحاني الذي يربطه بالوجود , و هنا يكشف المتصوف عن حقيقة لا متناهية يتحد بها , ولا شك أن هذه الممارسة الروحانية تؤدي إلى الحالة الأكثر سموا في حالة الحب[2] .

- ✓ و معنى أن التصوف حسب برغسون لا يمكن فهمه خارج الله , كما أن التصوف عبارة عن تجربة روحية نفسية عميقة تعبر عن تعلق و اتحاد الذات بالله .

إن المسيح في نظر برغسون هو المثل الأعلى للصوفية , فقد عد برغسون الصوفي الحقيقي هو الصوفي المسيحي , ففي اعتقاده أن الديانة المسيحية هي جوهر الوثبة المبدعة و يتجلى فيها الجانب الروحي , فالتصوف لا يكمن في الدين فقط بل تجل للميتافيزيقا البرغسونية , و لقد تعرض برغسون إلى مختلف أنواع التصوف الأخرى , إلا أنه وجد أنها لا تعبر عن دفعه الحياة الخلاقة , ولا سر الوجود لذلك نجد ذلك إلا في التصوف المسيحي حيث رفض التصوف الشرقي معتقد أنه لا يرقى إلى خصائص التصوف الكامل المتمثلة في المحبة , العمل ,الخلق بالإضافة إلى رفضه التصوف البوذي لأنه لم يعطي للإنسان قيمه و لأنه يعمل على :«إطفاء إرادة الإنسان»[3] .

---

[1]- هنري برغسون ،منبعا الاخلاق والدين ، مصدر سابق ،ص239.
[2]- نورة بوحناش ، مرجع سابق ،ص236.
[3]- هنري برغسون ،منبعا الاخلاق والدين ،المصدر السابق ،ص 240.

- ✓ إذن في اعتقاد برغسون فإن الصورة الحقيقية للصوفية تتأتى و تتجلى في المسيحية فهي التي تعبر عن قمة دفعه الحياة الخلاقة.

و الجدير بالذكر أن فكرة التصوف بالمسيحية تلتقي عير المسيح في الإطار اليهودي عن تجربة فوق عقلية , و هذا ما يؤدي الى استمرار العلاقة بين اليهودية و المسيحية غير أن الفرق بينهما يكمن في أن المسيحية تصوف , في حين اليهودية تبقى فكرة عقلية , لكن تبقى كل من المسيحية و اليهودية يلتقيان في فكرة اله واحد .

أراد برغسون أن يوضح أن الصورة الحقة التي تعبر عن التصوف تجدها في المسيحية , و نفى ذلك عن اليهودية و مع أنهما يتفقان في فكرة مفادها أن الله واحد [1] .

- ✓ نفهم من هذا أنه لا يمكن التعبير عن الصوفية خارج إطار المسيحية , كما فند برغسون أن تعبراليهودية عن الصوفية رغم أن كل من الديانتين يلتقيان في فكرة مفادها أن الله واحد .

و يعد التصوف انفعال فريد من نوعه , فهو أقرب إلى ثورة نفسية عميقة منه إلى إضراب نفسي عارض , فهو ينطوي على تطابق بين كل من الرائي و المرئي , أو بين الذات و الموضوع , أو يمكن القول أنه إتصال مباشر بالجهد الخالق , و هذا الجهد الخالق من الله , إن لم نقل هو الله ذاته, و السبب في هذا التردد هو أن الصوفي لا يدرك القوة التي تحرك الأنا , و تحرك الكون إدراكا مباشرا , و إنما هو يعجز عن فهم وجودها الغامض , لأن هذا أقوى من أي عبارة و أكثر من كل الأفكار[2] .

- ✓ يريد برغسون أن يوضح أن التصوف تجربة روحية منبعها الحدسي و غايتها الإتصال بالله ووسيلتها الإنفصال عن كل شيء و الإبتعاد عن الحياة .

و الجدير بالذكرأن التصوف حسب برغسون «ينبني على مجموعة من الأحوال و على الصوفي أن يحياها و يعايشها , فهذه الأحوال ذات طبيعة إدراكية , و هي أيضا أحوال لا يمكن وضعها و التعبير عنها , فهي أحوال وجدانية , و ما طان كذلك يصعب نقل مضمونه للغير في صورة لفظية دقيقة , وهي بعد ذلك أبعد أحوال سريعة الزوال , أي لا تستمر مع الصوفي لمدة طويلة , و لكن أثرها ثابت في ذاكرة صاحبها على وجه ما , وهي أخيرا أحوال سالبة خارجة عن إرادة الإنسان , إذ يبدو كما لو أنه خاضع لقوة خارجية تسيطر عليه[3] .

---

[1]- نورة بوحناش ،مرجع سابق ،ص 273.

[2]- مراد وهبة ، مرجع سابق، ص 143.

[3]- ابو الوفا الغنيمي ،مدخل إلى التصوف الاسلامي ،دار الثقافة للنشر و التوزيع ،القاهرة ،مصر ، د. ط، 1988 ،ص.

- ✓ نفهم من هذا أن الأحوال النفسية و العميقة التي يعيشها الصوفي , أحوال ذاتية لا يمكن وصفها و التعبير عنها لأنها تعلو عن كل شيء.

كما أشار برغسون إلى أن التصوف تجربة مفعمة بالقيم الروحية و جوهر هذه القيم و محركها في آفاق الإنسانية الرحبة هو الحب أو المحبة , و هذه هي رسالة الصوفي ,فمهمة الصوفي التي حددت له , و التي تدر نفسه لأجلها هي أن يشيع لا محبة بين الناس« فالتجربة الصوفية تمثل حقيقة الاهية , تعمل على تمثيل حبها للكائنات معبرة عن عنايتها بها ,إذ يتضمن النداء الذي يتلقاه المتصوف دعوة الحب إلى الحب , وهو خطاب مشحون بالمضامين الإنفعالية و العاطفية التي يجلعه يتردد في النفوس كرنين الموسيقى يجذبها نحو القيم[1] .

- ✓ ومعنى هذا أن الصوفي يحمل رسالة إنسانية قيمة تعبر عن المحبة وهي ترجمة لصورة إلهية .

فالصوفي ما يكاد ينزل من السماء إلى الأرض حتى يشعر بالحاجة إلى أن يمضي إلى الناس يعلمهم ...أن ثمة عاما آخر...ليس مثل هذا العالم , بل إنه عالم يقيني يقين التجربة وقد وضع برغسون مهمة تجليه للناس تحت مسؤولية كبار المتصوفة[2] .

- ✓ إذن وسيلتنا لترجمة القيم الروحية و بلوغ الله وبث روح المحبة بين الإنسان و الله هو الإنسان الصوفي أو المتصوف .

و يذهب برغسون إلى أن الصوفي الكبير يحس بالحقيقة تنحدر فيه من منبعها قوة فعالة , و بالتالي لا يستطيع أن يمنع نفسه من نشرها كالشمس لا تستطيع ان تسكب نورها , و لكن نشر هذه الحقيقة لا يكون بالكلام ,وذلك أن الحب الذي استحوذ عليه و هذا ليس حب الإنسان لله فحسب بل هو الله لجميع البشر , فمن خلال الله , و بالله يحب الإنسانية كلها حبا إلهيا.

وهذا لا يعتبر كحب الإخوة الذي يتكلم عنه الفلاسفة , ففي إعتقاد برغسون «الصوفية شملوا الإنسانية جمعاء بكل من الحب لا ينقسم , و بذلك فإن المسألة ليست متعلقة بالأخوة التي تبني فكرتها بناء و تجعل منها مثلا أعلى , ولاهي تقوية تعاطف فطري يعطف الإنسان على الإنسان»[3] .

---

[1]- نورة بوحناش ، مرجع سابق ، ص274.
[2]- المرجع نفسه، ص 233.
[3]- المرجع نفسه ، ص141.

- ✓ إذن الرسالة التي ينشرها الصوفي للإنسانية هي رسالة الهية تعبر عن قيم روحانية يذكرها فقط اللهو الصوفي مجرد واسطة فيها و الغاية من هذه الرسالة التعلق بالله .

إن التنامي الروحي يجعل من التجربة الصوفية الطريقة و السبيل الوحيد لحل مشكلة الله حلا تجريبيا , فالدين الساكن أو الفلسفة لا يستطيعان أن يعطينا معرفة يقينية عن الألوهية بقدر ما تمدنا به عن التجربة الصوفية الحقة التي هي مشاهدة عيانية و رصد روحاني و موضوع المحبة الذي تشيرله المسيحية , وأن الخلق مشروع الاهي اراد له أن يخلق موجودات تكون جديرة بحبه ,وهذا من خلال الحل الصوفي ومن هنا يتغير شكل الإطمئنان الذي كان يجلبه الدين السكوني للإنسان , و بالتالي فلا خوف من المستقبل ,كما لايمكن إعطاء قيمة للناحية المادية و إنما جل اهتمامنا يكون للناحية الروحية ذات المعنى السامي[1] .

إذن من إعتقاد برغسون فكرة بلوغ الله و الحقيقة لا تتأت إلا من خلال التجربة الصوفية , فهي الوحيدة التي بإمكانها الكشف عن ماهو روحي و التعلق بالله.

[1]- نورة بوحناش ،المرجع السابق ، ص 274.

خاتمة

في الوقت الذي انتصرت فيه التقنية والعلمية في المجتمع الغربي ، بعد أن انفك أسره من الكنيسة الذي كان حبيسا لها ، وهذا راجع لممارسة رجال الدين وجبروتهم على العقل الغربي ، هنا وجد نفسه أمام أزمة حادة مع النزعات العقلية العلمية المتطرفة ، حيث طغت الآلية واستغفل البعد الروحي للإنسان ، وأختزل في البعد المادي الشيء الذي دفع ببعض الفلاسفة الى ايقاظ الأبعاد الروحية ومن بين هؤلاء الفيلسوف الفرنسي برغسون ، الذي حاول التغلغل داخل الجوانب الذاتية الذوقية للكشف عن الحقيقة ، والثورة على المادية والآلية، وقد وجد في الفن المظهر الأسمى للذاتية والكشف عن الحقيقة واكمال النظرة العلمية الموضوعية القاصرة

من خلال ما تقدم ذكره يمكن استنتاج النقاط الآتية:

1-أن فلسفة برغسون الروحانية تعتبر تيارا مناهضا للنزعات العلمية والمادية وتتجاوز الغريزة والعقل ،وقوانين العلم الجامدة ، لذلك يهتم برغسون بالجانب الروحي على حساب ما هو مادي وضيق .

2-وقد عد برغسون الحدس الأداة الوحيدة التي من خلالها يمكن أن النفاذ إلى قلب الحقيقة ،فهو الأساس الذي يؤسس عليه فلسفته.

3-والحياة حسب برغسون تتسم بالمرونة والحركة والسرعة ،فهي لا تتصف بالجماد والثبات فهي ديمومة متجددة تعبر عن الزمن الذي نحياه بعيدا عن الزمن الفيزيائي الثابت ، فالديمومة تعبر عن زمن ديناميكي اساسه الحركة والتغير ،فالظواهر المادية حسب برغسون هي عبارة عن حوادث متواترة ،أما الحياة النفسية تيار متدفق لا يعرف الثبات والسكون ولا ندرك ذلك إلا من خلال الحدس .

4-ولايمكن للحياة أن تتأسس على المنطق ومحركها الدافع الحيوي الذي يعد طاقة حيوية ، ولعل هذا ما يتجسد في فلسفته القائمة على الفكر والمتحرك ،والتي اعتبرت انقلابا أو ثورة فلسفية.

5-كما أقام برغسون قطيعة وفصل بينالميتافيزيقا الكلاسيكية ذات الطبيعة العقلانية والميتافيزيقا المرتبطة بالحدس ،ومن ثم الفصل بين مجالي المادة والروح .

6-كما عد برغسون الاخلاق المفتوحة هي نداء الحياة الخاضعة للصيرورة ،فهي أخلاق دائمة الانصات للنداء الذي يصدر الفرد .

7-يعتقد برغسون أن غاية كل من الأخلاق والدين غاية سامية ،وهي حب الانسانية والتعلق بالإله والتوجه نحو المطلق من أجل صفاء النفس وطهارتها ، وهذا ما يفسر تمسك برغسون بالجانب الروحي والدين .

8-كما يتغلغل برغسون داخل التجربة الصوفية الزهدية وعلاقتها المتينة بالدين الديناميكي باعتباره دين حق، ويمكن العثور على هذا الدين عند المتصوفة المسيحين وهذا من خلال اتصالهم المباشر بالخالق ،وبالتالي فغاية التصوف الاتحاد بالله .

10-كما اعتبر برغسون الفن ضرب من أضرب المعرفة ، فلا يمكن الكشف عن الحقيقة والعالم إلا من خلال هذا الأخير وربط ذلك بالحدس الذي اعتبره إدراكا خالصالارتباطه بالأحاسيس والعاطف .

أولا:المصادر

1 -هنري برغسون،بحث في معطيات المباشرة للشعور، تر:حسين الزاوي،المنظمة العربية للترجمة،بيروت،لبنان،

ط200،1.

2-هنري برغسون:التطور المبدع،تر،جميل صليبا،المنظمة العالمية للترجمة، بيروت، لبنان،د. ط،1981.

3-هنري برغسون،الطاقة الروحية،تر:سامي الدروبي،الأوابد، سوريا ،ط1، 1945.

4-هنري برغسون،منبعا الأخلاق والدين، تر:سامي الدروبي،عبد الله عبد الدايم،الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر

القاهرة، مصر،د.ط،1971.

ثانيا:المراجع

1-أبو الوفاء الغنيمي، مدخل إلى التصرف الإسلامي ،دار الثقافة للنشر والتوزيع،القاهرة ،مصر،د.ط،1988.

2-أميرة حلمي مطر،فلسفة الجمال ،أعلامها ومذاهبها،دار قباء للطباعة والنشر،القاهرة ،مصر،د.ط،1998.

3-إمام عبد الفتاح إمام ،مدخل إلى الميتافيزيقيا ،نهضة مصر للطباعة والنشر،القاهرة ،مصر،2005.

4-ابراهيم زكاريا،دراسات في الفلسفة المعاصرة ،دار مصر للطباعة ،القاهرة ،مصر ،د .ط ،د.ت.

5-إبراهيم زكاريا،برغسون ،سلسلة نوابغ الفكر الغربي،دار المعارف،القاهرة،مصر،ط1، 1956.

6-أندري كريستون،برغسون ،حياته،فلسفته،تر: ،نبيه صقر،منشورات عويدات،القاهرة ،مصر،د.ط،د.ت .

7-ايميل دوركايم ،قواعد المنهج في علم الاجتماع،تر:،محمود قاسم ،دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية، مصر،ط2، 1988.

8-الربيع ميمون ،نظرية القيم في الفكر المعاصر بين المطلقية والنسبية،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر ،دط،1980

9-برتراند راسل،تاريخ الفلسفة الغربية،تر:،محمد فتحي الشنيطي،المصرية العامة للكتاب،القاهرة،مصر،د .ط، 1988.

10-بوشنسكي، الفلسفة المعاصرة في أوربا،تر:عزت قرني،عالم المعرفة،الكويت،د.ط،1992.

11-حبيب الشاروني،أرمنة الحرب بين برغسون وسارتر،دار المعارف،القاهرة،مصر ،د.ط،1963.

12 -جيل دولوز،البرغسونية ،تر:،أسامة،الحاج،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر،بيروت،لبنان،ط1، 1997.

13-راوية عبد المنعم عباس ،فلسفة الجمال،دار الوفاء لدنياالطباعة والنشر،الإسكندرية ،مصر،ط1، 2013.

14-زكريا إبراهيم ،فلسفة الفن في الفكر المعاصر ،دار الثقافة للنشر والتوزيع،مصر ،د.ط،د.ت.

15-زكريا إبراهيم ،دراسات في الفلسفة المعاصرة،دار مصر للطباعة ،القاهرة ،مصر ،د.ط،د.ت

16-مجاهد عبد المنعم مجاهد،مدخل إلى الفلسفة ،دار الثقافة للنشر،القاهرة،د.ط،د.ت.

17-مورتون،عصر التحليل ،تر،أديب يوسف شيش،منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي،القاهرة ،مصر،د.ط،د.ت.

18-موسى الموسوي،فلاسفة أوربيون من ديكارت إلى برغسون،دار الميسرة ،عمان،الأردن،ط1، 1980.

19-مراد وهبة ،المذهب في فلسفة برغسون ،دار وهدان للطباعة والنشر ،مصر ،ط2، 1978.

20-فؤاد كامل ،الفرد،في فلسفة شوبنهاور،الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة ،مصر،دط،1991.

21-فؤاد كامل،أعلام الفكر الفلسفي المعاصر ،دار الجيل،بيروت،لبنان،ط1، 1993.

22-فريدة غيوة،اتجاهات وشخصيات في الفلسفة المعاصرة،دار الهدى،للنشر،عين مليلة،الجزائر،د.ط،د.ت.

23-نورة بوحناش،إشكالية القيم في فلسفة برغسون،منشورات الاختلاف، الجزائر ،دط،2010.

24-سناء خضر،مبادئ فلسفة الفن ،دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر الإسكندرية،مصر،د.ط،د.ت.

25-عطيات أبو سعد،الحصاد الفلسفي للقرن العشرين ،حصاد القرن،منشورات مؤسسة عبد الحميد شومان،عمان،الأردن،المؤسسة العربية للدراسات،والنشر،بيروت،لبنان،2007 .

26-وليم كلي رايت ،تاريخ الفلسفة الحديثة،تر:محمود سيد أحمد،دار التنوير ،بيروت ،لبنان،ط1، 2010.

27-يوسف كريم ،تاريخ الفلسفة الحديثة،دار القلم ،بيروت، لبنان،د.ط، د.ت.

ثالثا:المعاجم والموسوعات

1-أندري لالاند ،الموسوعة الفلسفية،تر:خليل أحمد خليل ،ج2،منشورات عويدات،بيروت،لبنان،ط2، 2001.

2-إبراهيم مذكور، المعجم الفلسفي،الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية،القاهرة، مصر،1983.

3-جميل صليبا ،المعجم الفلسفي،ج1،دار الكتاب ،بيروت،لبنان ،1982.

4-محمد بن أبي بكر الرازي ،مختار الصحاح،مكتبة لبنان،بيروت،لبنان،د.ط،1986.

5-معين زيادة ،الموسوعة الفلسفية العربية ،المجلد1،معهد الإنصاء العربي،بيروت،لبنان،ط1، 1986

6-عبد المنعم الحنفي ،المعجم الشامل للمصطلحات الفلسفية ،مكتبة مدبولي،مصر،ط3، 2004

رابعا:قائمة المصادر والمراجع باللغة الأجنبية:

1-francois Meyer ,pour connaitre Bergson,bordas,paris,1985.

2-Henri Berson ,essais sur les donnes immdiates de la conscience paris , F ,Alcan.1889.

3-Henri Bergson ,la pensee et le mouvant,paris , 1946.

4-Henri Bergson,lévolution créatrice,paris,felix Alacn,coll <<bibiothèque dephilosphie contemporaine>>1907 .

5-booding .j .E :Arealistiscuniverse .an introduction tomoaphysics

فهرس
المحتويات

الفهرس: الصفحات

شكر وعرفان.....

مقدمة.....أ- د

مدخل مفاهيمي.:. المفاهيم المؤسسة لفلسفة برغسون 6-15

1- الحدس

1-1 الحدس لغة

2-1 الحدس اصطلاحا

3-1 مفهوم الحدس عند برغسون

2- الديمومة

3-الدافع الحيوي

4- الميتافيزيقا

1-4 الميتافيزيقا لغة

2-4 الميتافيزيقا اصطلاحا

الفصل الأول :نقد النزعة العلمية 17- 32

المبحث الاول :الثورة على المادية

المبحث الثاني :الثورة على الميتافيزيقيا

المبحث الثالث : الدافع الحيوي والتطور

المبحث الرابع :الحدس والحقيقة المطلقة

الفصل الثاني: ماهية الطاقة الروحية 34-46

المبحث الأول :ظروف نشأة فلسفة الديمومة

المبحث الثاني :علاقة الديمومة بالزمان

المبحث الثالث :فلسفة الروح وعلاقتها بالقيم الاخلاقية

المبحث الرابع :فلسفة الروح وعلاقتها بالدين

الفصل الثالث: الحدس ومنبع الذاتية (الجمال ،الفن).....48-57

المبحث الاول: الجمال كمظهر حدسي

المبحث الثاني :الحدس والفن

المبحث الثالث: الحل الصوفي في فلسفة برغسون

خاتمة..... 59-60

قائمة المصادر والمراجع.....61-63

فهرس المحتويات.....65-66

ملخص .....

لا شك ان فلسفة برغسون تهدف الى معايشة القيم الروحانية في الواقع المعاش ،وهي عبارة عن ردة فعل ضد حداثة العقل الأداتي للعلم والتقنية ،واستغفال الانسان المعاصر للبعد الروحي وانتصار المادة ،لذلك سعى برغسون الى تسليط الضوء على القيم الروحانية ،ولا يمكن الحديث عن هذه القيم خارج منهجه الحدسي الذي ارتبط بالديمومة والتي اعتبرها تيار متدفق لا يعرف الثبات ،ولا سبيل الى بلوغها إلا من خلال الحدس الذي يعتبر تجربة باطنية تفعل فيه الذات دورا مهما ، وهذا ما يوضحه برغسون من خلال التعاطف الذي تصنعه الذات مع الحياة ، وذلك لا يتأت إلا من خلال تجربة الفن التي تعتبر مظهر من مظاهر الحدس والذي يعتبر شكل من اشكال المعرفة يهدف للكشف عن الحقيقة .

الكلمات المفتاحية : البعد الروحي، العقل الأداتي ، العلم ،الحدس، الديومة ،الفن .

Sans aucun doute que la philosophie de Bergson vise à coexister avec les valeurs spirituelles dans la réalité vécue, ce qui est une réaction contre la modernité de l'esprit instrumental de la science et de la technologie, et la négligence de l'homme contemporain de la dimension spirituelle et de la victoire de la matière, donc Bergson a cherché à mettre l'accent sur les valeurs spirituelles, ec'est pour cela on ne peut pas parler de ces dernières en dehors de son approche intuitive, qui était liée à la permanence, qu'il considérait comme un courant qui ne connaît pas la stabilité, et il n'y a aucun moyen d'y parvenir sauf par l'intuition, qui est une expérience mystique dans laquelle le moi joue un rôle important, et c'est ce que Bergson explique par la sympathie que le moi se fait avec la vie, et qui ne passe que par L'expérience de l'art, qui est une manifestation de l'intuition , qui est une forme de connaissance visant à révéler la vérité.

Mots-clés : dimension spirituelle, esprit instrumental, science, intuition, permanence, art

Abstract

There is no doubt that Bergson's philosophy aims to coexist with spiritual values in reality, which is a reaction against the modernity of the instrumental mind of science and technology, and modern man's neglect of the spiritual dimension. Bergson sought to shed light on spiritual values, and it is not possible to discuss these values without refer to his intuitive approach, that is linked to continuance, as well as there is no way to reach it except through intuition, which is a mystical experience in which the self plays an important role. Bergson explains through the sympathy that the self creates with life that only comes through the experience of art, which is a form of intuition and knowledge aim to reach the truth.

Keywords: Spiritual dimension, Instrumental Mind, Science, Intuition, Continuance, Art.